

الحضور القبطي في الرواية المصرية المعاصرة

د/ جودة عبد النبي جودة (*)

الروح القبطية موجودة داخل الرواية المصرية المعاصرة وجوداً راسخاً، ومكيناً، والإشارات القبطية، والرموز المسيحية، واضحة، وتخترم النسيج الروائي من أدناه إلى أقصاه، باعتبار " القبطية " مكوناً رئيسياً من مكونات الروح المصرية .

في رواية " الزمن الآخر " نجد المخلوقات المقدسة " الشاروبيم والصاروفيم " وهي " في العقيدة المسيحية " كائنات نورانية غير منظورة وغير جسدانية تحمل عرش الرب، لكنها في الرواية تعجز عن حمل " ميخائيل " - بطل الرواية - حين يسقط . يقول:

[وجلست على عرش سافيك الذهبيتين الذي تحيط به النيران والشاروبيم، والتفت بي ذراعاك المورقتان المثقلتان بالتممر، وسقطت فلم يقمني أحد الشاروبيم، اتخذلوا جميعاً بأجنحتهم الهشة أمام سطوة الملك الشرير] . (١)

(*) باحث وناقد أدبي.

(١) إدوار الخراط : الزمن الآخر، دار شهدي للطبع والنشر، القاهرة ١٩٨٥م، ص/٦٨ .

وفي سفر " أشعيا " تأتي النيران مرتبطة " بالصاروفيم " .

[طار إلى واحد من الصاروفيم، ويده جمره . ولما مست الجمره فم أشعيا، جاءتة الكلمات المعزية التالية " انتزع إثمك، وكفر عن خطيتك " . انظر : هـ . أ . أيرنسايد،

ويقول: [وكان يراه، على الجبل، عن كثب جداً، أساريه ناعمة تحت عينيه الغائرتين، يثب نازلاً من صخرة إلى صخرة، وفأسه في يده، وبخان قربانه المرفوض مازال يصعد من شقوق المغارات والخلوات، والدم على يديه. سرب الشاروبيم والصاروفيم يرفرف حواليه كأنه يطرده بحفيف جارح مصمم، وعيونهم لامعة كالخرز، وكانت حواليه بناته، لا عداد لهن، أجسامهن الملساء المدورة الحنيات قوية، يتلوين من الشهوة تحت وطأة عشق الأجنحة. أبيضحت تحت هجمة الأجنحة كل حرقات أجسادهن، صرخات الديسكو المبجوحة تلتصق كالحيات بالأثداء المبذولة وسفوح البطون] .^(٢)

فمن خلال هذه الذاكرة المختلطة من " ذاكرة تراثية وذاكرة شخصية"، من ذاكرة الماضي وذاكرة الحاضر التي هي ذاكرة الرؤية، تأتي أسراب " الشاروبيم والصاروفيم " التي هي في الرواية مرتبطة _ في أغلب الأحيان _ بالإحباط والرفض والفشل والسقوط والخذلان؛ هذه الكائنات الأسطورية " هي المماثلة للأسد رمز الحيوان الكامل في " آشور القديمة"، وهي حيوانات

نبوة أشعيا، تفسير سفر أشعيا، تعريب س.ف. باز، الأردن، الزرقاء، دار الحياة، بدون تاريخ، ٦، ١، ٧

(٢) إدوار الخراط: الزمن الآخر، ص / ٦٩
وتقيم أسراب الشاروبيم والصاروفيم في " قنص الأقداس " ولكل واحد منها وجه إنسان، وتستخدم أجنحتها للعبادة، لكل كروب الأوجه الأربعة معاً على التوالي:
[وجه إنسان، علامة على الفطنة؛ ووجه أسد، رمزاً إلى المهابة والقدرة؛ ووجه ثور، كناية على الخدمة بصبر واحتمال؛ ووجه نسر، رمزاً إلى السرعة في تنفيذ القضاء والتمييز الحاد من بعد. وهي رؤوس طبقات الخليقة الأربعة: مملكة البشر، ومملكة الوحوش، ومملكة قطعان الحقول، ومملكة الطيور] .
- انظر: هـ. أ. أيرنساند، نبوة حزقيال، تفسير سفر حزقيال، تعريب س.ف. باز، الأردن، الزرقاء، دار الحياة، بدون تاريخ، ١، ١، ٣

الحضور القبطى فى الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

الرؤية لدى " حزقيال وأشعيا ويوحنا " ، وقد ارتبطت منذ عهد آباء الكنيسة الأولين، بالناحية التي يظهر فيها " المسيح " في كل من " الأنجيل الأربعة " .

ويعتقد أن هناك صلة بين " الشاروبيم والصاروفيم " والتصور الخاص بشكل " أبي الهول " من ناحية، وفكرة " الأم الخالدة " التي يخرج منها البشر كما عبر عنها " إدوار الخراط " في الرواية بأشكال عدة لكنها واحدة من ناحية أخرى .

لكن تصور " الشاروبيم " الذي يضم في جسد واحد الإنسان والحيوان البري المتوحش (الببوء والأسد)، والحيوان البيتي المستأنس (البقرة)، والحيوان الذي كان متوحشاً وصار مستأنساً (القطة)، ثم الطائر المحلق (النسر - رفيق الشمس، الصقر - حورس) يبدو أكثر اقتراباً من طبيعة " رامة " (٣) في الرواية، التي هي " الأم " و " الحبيبة " ، البقرة المقدسة والقطة المتوحشة، المستأنسة والبرية، المقيمة والمغادرة أبداً .

ونرى " ميخائيل " - بطل الرواية - وهو يؤدي " طقوس الحج " إلى تلك الحقبة المجيدة من تاريخ " الكنيسة القبطية " ، وخاصة بزيارته " لعمود السواري " بسرابيوم الأسكندرية، وهو العمود الذي بناه الإمبراطور الروماني

(٣) " رامة " اسم عبري يعني " المرتفعة أو السامية أو العظيمة " ، وهي أيضاً اسم لقريّة صغيرة يعتقد بأنها " رام الله " .

" رامة " أيضاً اسم بالعربية مشتق من فعل " رام " الشيء أى طلبه وأراد، وهي في الرواية " أمازونة القاهرة الغربية ، شقيقة المحارب في خضم طواحين الهواء ، بدرعه القديمة التي لا تصد شيئاً . فروسية الإعطاء الجسدي برنية وأولية، تعود . وتعود طاهرة من كل لوثة . ليست من هذه الأيام . تتجاوز كل الأيام] . الرواية ص/ ٦٩ .

(٤) إدوار الخراط : الزمن الآخر ، ص/ ٩٨ .

"نقلديانوس"، الذي عرف عصره بعصر "شهداء الكنيسة القبطية"، وهو العصر الذي يبدأ معه "التقويم القبطي" تخليداً لذكرى "شهداء الكنيسة القبطية" بالأسكندرية. أما بالنسبة لغير الأقباط، فإن تلك المرحلة الزمنية من تاريخ الوطن تكاد تكون مجهولة كلية، أو حتى مزدرة، وكأن تاريخ مصر القديم ينتهي مع دخول الرومان وهزيمة الملكة كليوباترا، لتبدأ الصفحة التالية مباشرة مع الفتح الإسلامي لمصر، وتسقط قرابة الستة قرون من تاريخنا في جب عميق من الصمت والتجاهل.

وما دام طرح القضية قد وصل إلى أرض "الاختلاف الديني"، فقد غدا الطريق ممهداً لظهور مشكلة "الأقلية والأغلبية":
[قال : لذلك ، بمعنى ما ، نحن لسنا أقلية ، أيا كان عدداً . وليس البطريرك مجرد رئيس طائفة دينية . ليس فقط خليفة القديس مرقس ، هو أيضاً رمز ، بل أكاد أقول الرمز للواحد الباقي من آلاف السنين .
قالت : يمكن . ولكن هذه نظرة محدودة جداً ، وجامدة ، وبعيدة جداً عن واقعنا ، جدلية الواقع المصري الآن مختلفة ، وتسير في سياق آخر . كيف يمكن أن تتسى تراث عبد الناصر ، تراثنا الذي جلاه لنا عبد الناصر عندما علمنا ، كشف لنا ، أننا مصريون صحيح] .^(٤)

كذلك نجد في رواية "يا بنات اسكندرية" الشواهد التاريخية الدالة على "العصر القبطي" في بنية الروح السكندرية، فمدينة الأسكندرية كانت طوال تاريخ الأقباط _ وإلى عهد قريب جداً _ مقراً للكرسي البابوي، حتى أن "الكنيسة القبطية" لازالت تعرف باسم "كنيسة الأسكندرية والكرامة (الدعوة) المرقسية". وقد شارك رهبان وقساوسة الأسكندرية بفاعلية كبيرة

في النقاش الذي ظل ملتهباً حول طبيعة " السيد المسيح"، واختلقت كنيسة الأسكندرية مع الكنيسة الرومانية خاصة، حول هذه القضية العقائدية الشائكة دفاعاً عن مفهومها الخاص للعقيدة الصحيحة. وارثوى تراب المدينة بدماء غزيرة مستأثرة بالنصيب الأكبر من بين سبعين ألف قبطي قتلهم الرومان بسبب استمساكهم بعقيدتهم المخالفة لعقيدة الإمبراطورية الرسمية، في وثيقتها أو مسيحيتها، على السواء:

[عرشت أشواق عشقى في مدينتي العظمى الأسكندرية النغر المحروس الميناء الذهبية رؤيا ذي القرنين وضبعة سوستراتوس المهندس العظيم ولؤلؤة قلبطرة الغانية الأبدية، المدينة الساطعة المرخمة لا تحتاج بالليل إلى نور لفرط بياض رخامها، أكاديمية أرشيميدس وأراتوسنيس الفيلسوف والشاعرين أبو لينوس وقالما خوس، مثوى الميوزات جميعاً وعاصمة القداسة والفجور معاً، أرض القديس مرقس والقديس أنانيوس وأصحاب الكنيسة البوقالية أوريغانوس والأسقف ديونيزيوس والأنبا أنثاسيوس الرسولي الواقف وحده مع الحق ضد كل العالم. مدينة البطاركة، أعمدة الأورثوذكسية القديم، إكليل السبعين ألف شهيد الذين سوف يبعثون إلى جانب المسيح وجوههم بيضاء كاللبن والصاروفيم يقتنون في مكرماتهم ويسبحون، رأس فاروس يلقي نوره من إليوسيس الحضرة إلى قانوب أبو قير...]^(٥)

(٥) إدوار الخراط: يا بنات اسكندرية (بيروت: دار الآداب، ١٩٩٠م) ص / ٨١ - ٨٢.

(٦) إدوار الخراط: ترابها زعفران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨م، ص / ١٢٧.

وفي رواية " ترابها زعفران " نجد " ميخائيل قلندس " شاب من الطبقة الوسطى " القبطية " ، ولد وتلقى دراسته بالأسكندرية ، تخرج في كلية الهندسة، وعمل في متحف للآثار، ومات أبوه وهو بالجامعة، لذا عمل ليعول أمه وأخواته البنات، اعتقل بعد انضمامه للعمل السري " بالجماعات الثورية " ، يقول عن نفسه :

[كنا في ١٩٤٤م، وكنت في الثامنة عشرة، ومزعزع الإيمان وشديد الورع، غارقاً في جسمي وطهرانياً لم أذهب إلى امرأة قط، واعتبر نفسي " حر الفكر " وسوداوي المزاج ، على الطريقة الرومانتيكية . وكنت في مخزن ٦ مسئولاً عن العمال المصريين، أشغلهم وأترجم لهم وعنهم وأحسب أجورهم] .^(٦)

يتذكر " ميخائيل " أن طفولته كانت تمتد من جامع سيدي كريم ومولده بغيطة العنب من طرف، وحتى " دير الملاك ميخائيل بإخميم " من طرف آخر . وأن هذه الطفولة كانت تتردد بين صوت الشيخ " رفعت الحلو " وهو يقرأ القرآن في رمضان قبيل آذان المغرب، وبين صوت " مس كاترين " المرنم المعذب وهي تنشد الأطفال في مدرسة الأحد^(٧) بمبنى " الكرامة الأولية القبطية الأرثوذكسية " " كنز مجد في السماء كنز مجد في السماء " .

(٧) مدرسة الأحد : هي فصول لتعليم الدين المسيحي في كل كنيسة، ولا هدف لها سوى التعليم الديني، وتدريب الأطفال على حضور الكنيسة، وعلى حياة الفضيلة ومحبة الله والناس، وهي جزء من العمل الروحي العبادي .

(٨) إدوار الخراط : ترابها زعفران ، ص / ١٨٩ ونشير إلى أن يوم " ١٢ بؤونة " هو اليوم الموافق لعيد " الملاك ميخائيل " ، حسب التقويم القبطي .

الحضور القبطى فى الرواية المصرية المعاصرة فكر وإبداع

لقد كانت " مس كاترين " ذات تأثير ساحق ومتطاوّل فى عقل ووجدان " ميخائيل " وقد ظهر هذا التأثير فى غير موضع من الرواية :

[فى ١٢ بؤونة من سنة قديمة، كنت فى قاعة مدرسة الأحّد فى مبني الكرمة الأولى القبطية الأرثوذكسية . كنت أحب صوت مس كاترين النحيّفة الطويلة البياض الوجه، جسمها كأنه نوراني فى فستانها السابغ الأبيض المرسوم بزهور دقيقة حمراء فاتحة، وهي تعلمنا الترانيم فى الغرفة الواسعة المعتمّة قليلاً] . (٨)

إن شخصية " ميخائيل " - فى الرواية - مكتنزة بالحياة الحقيقية استطاع " الخراط " أن يرسمها بدأب، من خلال نثره واستدعائه للذكريات دون ترتيب، لكن من خلال تقاطعات مقصودة للأحداث مع الأحلام دون نسق محدّد، يغطّي القصّ كثيراً من جوانب الشخصية الإنسانية، فى تكشف دال ومعبر، مصادر ثقافته وقراءاته والتنوع الذى اتسمت به من الكتب الدينية والتاريخية والأعمال الأدبية والفكرية، العربية والأجنبية والتراثية . (٩)

(٩) نجد ذلك فى قول ميخائيل :-
[..... وأبكى كثيراً عندما أقرأ عن صلب المسيح وكيف تعذب ومات على الصليب من أجلنا . وكان سر المسيح يمض قلبي ويحمله عبناً لا يعرفه أحد . وكنت أنزل عند ست وهيبة أستلف من عندهم روايات روكامبول وفانتوماس وجرجى زيدان ونقولا رزق الله] . الرواية ص/ ١٨ .

(١٠) كقوله عن رصد المفردات الخاصة بجسد المرأة:
[وذهبت إلى أمي أخطو بين النساء اللاتي تربعن على " الكليم " تحت السرير، فى ثيابهن المشجرة المقورة الفتحة عن أثداء مستريحة وفيرة وانكشفت أفخاذهن قليلاً من فوق الركبة] . الرواية ص/ ٨١ .

وكقوله : [دوائر فخذك ذهب خمري مسبوك ، ملساء باردة تحت خدي، لامعة وقاطعة بين يدي . ثدياك . عنقيد كرم، ومازال سيفي على فخذي مسلولا أمام هول الليل فى تم عشقي الملتطم] . الرواية ص/ ١٦٨ .

لقد نسج " الخراط " لشخصية " ميخائيل " مناخاً اجتماعياً شديداً
الدفء والالتحام، أسرة قبطية متماسكة، أب حان عطوف، وأم محبة وجميلة،
وثلاثة بنات صغيرات جميعهن مع البطل يعيشون مع عائلته الكبيرة لأمه،
وأخواله وخالاته وجدته، في أسرة قبطية برجوازية متماسكة.

وتبدو " لميخائيل " بعض الصفات الخاصة منها فضوله الشديد تجاه
العالم من حوله، وسعيه للمعرفة، وخاصة لعالم " الأنثى " وكل ما يحيط بها
من أسرار بل التلذذ بالإقتراب الوثيد الغامض من وراء غلالة في السرد،
ورصد المفردات الخاصة بجسدها، ورائحتها وطبيعتها صوتها، وطبيعتها
ملابسها. (١٠)

[... قالت لي فجأة، بلهفة، يا ضنايا... مالك؟ تعال... تعال نم
على حجري هنا. وضعت رأسي بين فخذيها الطريتين الممثلتين، وكانت
ناعمة تحت وجهي، ودافئة، ونفح جسمها الأنثوي حميماً، ونزلت بيدها
الرخصة فضغطت على وجهي، بحنو ورفق، على مجرها، ونمت... (١١)]

وتتداخل " الترانيم الكنسية " في " النص الروائي " في حالة من
التناص " التي توفر طقساً متيافيزيقياً في مقطوعات ترنيمية ينسجها
الخراط " على نسق " ترانيم الكنيسة "، لكنه يصنع ترانيمه الخاصة والتي
يوظفها "لمناجاة النساء" والمعاني التي مرت بحياته فيقول :-

(١١) إيوار الخراط : ترابها زعفران ، ص / ٢١٤ .

(١٢) نفس المصدر السابق، ص / ١٩٠ - ١٩١ .

[الوجدانية المنسوبة إلى بيرسيفون، منهكة، مهانتها تتوش نياطى،
كامنة فى نباتات سنوحى، مائتي تتعب عبر السنين فوقى دندنة
الأحزان، حسنية.

منشدتي الأولانية المثناة، عنتها هيلينية النبرات، سيرينتى فى سنى
الوسن، كاترينا.

إسكندرة، سيرافينا الفينانة المغدونة على غصون الدندو العنب،
نداوة جناحيها المنضمين على لا نضوب لها.

هنية، ما ندالا الحصين، دوران اختناقها فى أنفاس الإحن والمحنة
مازال يرين على العرين الجنوبي المكين فى الجنية القبلية] . (١٢)

ويلحظ فى الفقرة " المفردات القبطية " التي يوشى بها الفنان ترانيمه
ذات العبق الموسيقى الكنائسي .

فى رواية " الظل الأسود " نجد إمبراطور الحبشة " إياسو " الذي
يخفي إسلامه منذ مدة، ويظهر مسيحيته، والمتسبب فى هذا الوضع هم
الرهبان " الذين تحكموا فى البلاد وعاشوا فيها مفسدين ومخربين بيوت الله .

يعلن " إياسو " إسلامه على الملأ ممزقاً " القناع الصليبي " ، ورافضاً
الاستمرار فى التكلف، وباحثاً لنفسه عن الاتزان والطمأنينة، فوعي الفرد
المسلم بالإنتماء إلى جماعة المؤمنين ينتزعه من التشاؤم والانعزال، ويسلكه
فى تيار رسالة عظيمة شاملة .

ومن ثم أصبحت المواجهة حتمية بين المسلمين والقوة الصليبية، لأن
تصرف " إياسو " كان بمثابة إعلان صريح " للحرب على الكنيسة " التي
ترفض الاعتراف بوجود دين آخر فى الحبشة غير " المسيحية " .

ويتضاعف إصرار " إياسو " على تحقيق مبتغاه والكشف عن نواياه الحقيقية، لأنه يدرك أن قيمه ومعتقداته راسخة، وذلك ما يوفر لديه الطاقة والثقة لمواجهة المستقبل، فيعلن [٠٠٠ أنه ينتمي إلى أصل عربي يمت لنبي الإسلام، ولبس للعمامة، وارتدى الزى الإسلامي المناسب لذلك العصر، وارتفع علم الحبشة في الآفاق مرفرفاً بعد أن كتبت عليه عبارة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ٠٠٠ وأعلن إياسو للجميع أنه قد اختار العقيدة التي اقتنع بها فكرة ومال إليها قلبه، وأن المسيحيين والمسلمين برغم ما حدث إخوة لا فرق بينهما ٠٠٠] . (١٣)

لكن " الكنيسة " استقبلت الحدث بالرفض ورأت أن [هذا المرتد خان الله وخان الشعب ٠٠٠] . (١٤) ولذلك عازمت على التخلص منه بأية وسيلة لأنها تؤمن إيماناً راسخاً بأن [تولى السلطة في الحبشة لا يصح أن يكون لمسلم ٠٠٠ هذا عار الأبد وسبة الأجيال ٠٠٠] . (١٥)

ولعل هذه النظرة إلى المسلمين هي التي ستشعل نار " حرب أهلية " في الحبشة وصراعاً دينياً دامياً ورهيباً، ولا يمكن أن ينتهي هذا الصراع إلا إذا حكم البلاد رجل تختلف نظراته عن نظرة هؤلاء " القساوسة " إلى الآخرين، ويعتقد اعتقاداً راسخاً بأن عقيدة كل إنسان أمر يخصه .

(١٣) نجيب الكيلاني : الظل الأسود، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م، ص / ٦١ .

(١٤) نفس المصدر السابق، ص / ٦٢ .

(١٥) نفس المصدر السابق، ص / ٦٣ .

(١٦) نفس المصدر السابق، ص / ١١ .

ويرى "رجال الكنيسة" أنه لا يكون هناك سلام [٠٠٠] إلا بعدما يعود المارقون المسلمون إلى خطيرة الرب [٠٠٠] .^(١٦) ، وهذه العودة لن تتحقق إلا بالسيف والتكيل، وما دام هذا هو هدفهم، وتلك هي نواياهم فإن الصراع سيكون عنيفاً لا محالة، ذلك الصراع الذي لا بد منه إذا فرض على الإنسان، وهددت من خلاله معتقداته التي لا حق للآخرين في توجيهها أو تغييرها .

لقد كان "إياسو" مثلاً للحب والأخوة والتسامح، ويظهر ذلك جلياً في قوله : [٠٠٠] إنني احترم عقيدة زوجتي المسيحية، ولا اعتراض لي على أدائها الصلوات أو تلقى الوعظ . . . إنني لم أفرض على زوجتي عقيدتي، وتركها الخيار [٠٠٠] .^(١٧)

(١٧) نجيب الكيلاني : الظل الأسود، دار النفائس، بيروت، ط٣ ، ١٩٨٦م ، ص ٧٦ .

(١٨) كان "الرأس تفري" فظاً قاسياً وإن تظاهر بالرحمة والرقّة . . . فلسفته العنف والقوة والبطش، وكان بالنسبة لزوجته "مالفن" [حليف وفسي للشيطان، يبيع أعلى القيم ليحقق أهدافه الدنيئة، ويدوس كل المقدسات في سبيل الوصول] . الرواية ص/ ١١٢ . كان حاقداً على كل من يعترض طريقه، يقتل الكثيرين بالسّم، وأحياناً لا يشفى غليله إلا إذا ذبح غريمه بيده، ولا يفعل ذلك بالمسلمين وحدهم، بل بالمسيحيين أيضاً، فهو لا يحب الله، ولا الشعب، ولا الكنيسة . . . بل يحب نفسه [ص/ ١٧٨]

(١٩) نفس المصدر السابق، ص/ ٥٤ . وقد ضرب "إياسو" المثل لإزالة الغضب و الحقد والتعصب عندما تنازل عن حقه وعفا عن "الرجل المسيحي" الذي حاول اغتياله، ورفض أن يوقع على الحكم بإعدام الرجل . . . الرواية ص/ ٦٢

(٢٠) نفس المصدر السابق، ص/ ١٤٤ .

فهذا التصرف يعتبر رسالة هادفة يوجهها " إياسو " للجميع، فتألف الإمبراطور المسلم والإمبراطورة المسيحية يعني أنه بالإمكان أن تحيا العقائد الدينية متألفة متأزرة دونما تعصب .

إن " إياسو " يرغب في أن يحقق المساواة بين " المسلم " و " المسيحي " وأن يشيع العدل في البلاد، هادفاً من وراء ذلك إلى إزالة الأحقاد التي رسختها أفعال وتصرفات " القساوسة " الذين يعتقدون أن رسالة الإمبراطور هي الحفاظ على " الدين المسيحي " والقضاء على ما عداه من الأديان .

يجد " إياسو " نفسه مضطراً إلى استخدام القوة وإعلان الجهاد لمواجهة " الكنيسة " وأعاونها ولوقف طغيانها ما دامت تعتقد أن الإسلام وباء منتشر، وتجد الكنيسة ضالتها في " الرأس تقري " (١٨) الطامع في " حكم الحبشة " والحاقد على " إياسو "، والذي يلبي طلبها معلناً الولاء لها، وكاشفاً في الوقت نفسه عن حقه الدفين على " إياسو " .

لقد كان وقوف " إياسو " في وجه " الرأس تقري " و " القساوسة " ضرورياً للدفاع عن القيم الإسلامية وعن وحدة الأمة، محاولاً عدم الوقوع في الصراعات العرقية والدينية التي كثيراً ما سببها التعصب الديني فقال لشعبه :

[إنني أعلن بكل قوة وإيمان أن العهد الحاضر يحمي حرية العقيدة ويحارب العنف والاضطهاد العنصري أو الديني، ولا يرغب أحداً على اعتناق دين غير دينه، ويتيح الفرصة لبناء الكنائس والمساجد ٠٠٠] . (١٩)

ولكن " القساوسة " رأوا أن الوحدة بين الأديان مستحيلة، فقيام " الدين الإسلامي " بجوار " دين المسيح " يعرض البلاد للضياع، حتى إن " تقري " قال :

[لسوف أمر بهدم المساجد، ولسوف يقام كل مسجد كنيسة] (٢٠). [

وعندما أعلنت "الكنيسة" للحرب على "إياسو" وعلى "المسلمين" تحول "تقري" إلى طاغية، أغرق البلاد في بحر من الدماء، ويبدو أنه قد نسي في معاركه أنه يدافع عن "المسيحيين" حينما أمر بقتل عجوز بعد أن أحرق قريتها ونجح أولادها :

[أنني مسيحية أعبد الله... عشت وأولادي في القرية في سعادة ونعيم، حتى أتيتم وهدمت عشي وقتلتم أولادي...] (٢١).

(٢١) نفس المصدر السابق، ص/ ١٤٢ .

(٢٢) نفس المصدر السابق، ص/ ١٨٨ .

(٢٣) رءوف مسعد من مواليد عام ١٩٣٧م في بورتسودان؛ حيث كان والده يعمل هناك " راهب مصري بروتانتى " . ومعه انتقل إلى "وادي مدني" ثم انتقل إلى مصر للدراسة الثانوية حيث انضم لأحد التنظيمات الشيوعية . أنهى دراسته الجامعية عام ١٩٦٠م واعتقل في ديسمبر من نفس العام وسجن لمدة أربع سنوات . وبعد السجن ترك مصر إلى بولندا عام ١٩٧٠م . حيث درس الإخراج المسرحي ثم عمل في مؤسسة السينما والمسرح العراقية ثم في الصحافة اللبنانية حتى عام ١٩٨٢م، عاد إلى مصر بعد مقتل أنور السادات والغزو الإسرائيلي لبيروت، واشترك في تأسيس دار شهدي عام ١٩٨٣م . والتي تم تصفيتا عام ١٩٩٠م حيث غادر مصر مرة أخرى ليستقر في هولندا .

(٢٤) رءوف مسعد: بيضة النعامة، دار رياض الرئيس، لندن، ١٩٩٤م، ص/ ٩٥ .

(٢٥) نفس المصدر السابق، ص/ ٢٩٢ .

وعندما يلقي القبض على "إياسو" اعتقد أنه انتصر وحقق مبتغاه، ولكن "إياسو" يبصره بأمور قد غابت عنه:

[لقد استطعت أن تسرق النصر الظاهري، وتستولي على الأرض، واستطعت يا تفري، أن تكتم أصوات الأحرار، وأن تنتشر الإرهاب في كل مكان، واستطعت أن تأخذني أسيراً، لكن الشعب في صمته أعلى هديراً مني ومنك] . (٢٢)

وما دام "إياسو" قد نذر نفسه لله، فإنه لا يبالي بحكم الإعدام الذي أصدره "تفري" في حقه، فالمؤمن الصادق، لا يهتم مصيره كفرد، وإنما مصير شعبه هو الذي يورقه ثم يدفعه إلى التضحية من أجله في ثقة وإيمان .

وتعتبر رواية "بيضة النعامة" من روايات السيرة الذاتية التي تتخذ من حياة مؤلفها أو فترات منها موضوعاً لها . (٢٣) وفيها يضع المؤلف/الرواي "رعوف مسعد" حياته السابقة موضع البحث والمساءلة حتى يعيد اكتشاف أو بناء تاريخه الشخصي، ويرصد مراحل تطوره أو مراحل صدامه مع المؤسسات السلطوية (الأسرة والكنيسة والدولة) .

تبدأ أحداث الرواية في نهاية الأربعينيات، فالرواي/ المؤلف ولد في "بورتسودان" في مارس ١٩٣٧م (٢٤) لأب "قسيس مصري" تابع "الكنيسة الإنجيلية"، ثم انتقل بعد ذلك إلى "وادي مدني" بالقرب من الخرطوم . ومعنى ذلك أنه عاش فترة الطفولة البريئة في "بورتسودان" و"وادي مدني"، حيث تربى تربية بروتستانتية (سودانية) . بعد انتقال الأب إلى "كنيسة الأقصر" بجنوب مصر انتهت أيام السفر من وإلى السودان . وأصبح على

الراوي/المؤلف وكذلك باقي أخوته_ أن يتخذ من مصر وطناً جديداً له، وأن يحاول أن يتأقلم، ويتحدث مثل المصريين . (٢٥)

بعد عدة مغامرات حياتية للراوي/المؤلف درس خلالها في "بولندا" وعمل في العراق ولبنان حيث عاش الحرب الأهلية وبعد مقتل السادات وغزو إسرائيل للبنان وطرد الفلسطينيين عاد إلى القاهرة في نهاية عام ١٩٨٢م ليستقضى ما حدث لمصر " وحال الأقلية القبطية"، ففي مارس ١٩٨٣م وبعد تأمل القاهرة وما أصابها في فترة غيابه سافر إلى الإسكندرية ليزور من تبقى من أهل أمه وليعرف أخبار الأحياء منهم والأموات ويتابع رصد التغيرات التي أصابت أقربائه عن قرب :

[بيت أخوالي في سيدي جابر الشيخ، كان شارعهم اسمه دانتيماو تكريماً لنكري المهندس الخواجة الذي أشرف على بناء كورنيش الإسكندرية الشهير، لكن في موجة التأسلم الأخيرة غيرت المحافظة اسم الشارع باسم عربي نكرة لأستطيع معرفة من هو . ولا حتى خالي الذي يسكن الشارع منذ أكثر من عشرين سنة] . (٢٦)

صعد درجات السلم المظلمة حتى في النهار وعندما دق جرس الشقة القديمة سمع الخطوات البطيئة المترددة والصوت الخائف يسأل بوجل عمن يدق :

- (٢٦) نفس المصدر السابق، ص/ ١٦٢ .
- (٢٧) نفس المصدر السابق، ص/ ١٦٣ .
- (٢٨) نفس المصدر السابق، ص/ ٩٧ .
- (٢٩) نفس المصدر السابق، ص/ ٩٧ .
- (٣٠) نفس المصدر السابق، ص/ ٣٥ .

[وبعد محاولات بطيئة تفتح الأقفال المختلفة المعقدة التي تقيم قلعة بينهما وبين الليل والخطر والمفاجآت] . (٢٧)

للشقة القديمة نفسها لم تتغير غير أن الإضاءة معتمدة والنوافذ مغلقة بالشيش والزجاج صيفاً وشتاءً . جلس مع خاله (صليب) الشهير (بشاكر) يتأملان صور أموات العائلة ويتحدثان عنهم دون حرج بحب وسخرية خفيفة وغفران كامل لسوءاتهم . وفجأة غير خاله (صليب) الموضوع وأخذ يسأله عن " الجامعات الإسلامية " المشددة ظناً منه أن ابن اخته (الصحفي) يمتلك الأجوبة .

هنا فهم الراوى سبب خوف خاله فأخذ يقتل من شأن هذه "الجماعات" في محاولة منه لطمأنة خاله، ولكن الخال أخذ يسرد [أخبار الإشاعات التي سمعها في الكنيسة عن الهجوم على بعض الكنائس في الصعيد] . (٢٨)

كان خوف "الأقلية القبطية" في مصر شيء عادي، لكنه انقلب مع سطوة "الجماعات الإسلامية" إلى خوف وهلع دائم، حتى إنهم اغلقوا نوافذ البيت الخشبية ذات شتاء قاس منذ بضع سنوات . . . بقوها بالمسامير وحينما انقضى الشتاء وجاء الربيع والصيف، لم يفتحوا النوافذ، وهكذا مرت السنين والنوافذ مغلقة وعندما سأل الراوى خاله عن سبب عدم فتحها نظر خاله إليه مندهشاً وقال: كده أحسن . (٢٩)

وعندما ذهب الراوى إلى "الأقصر" في صحبة "هولنديتين"، وما إن استقر في الفندق المتواضع في البر الغربي للأقصر "مدينة هابو"، واستراح من عناء السفر حتى ذهب للبحث عن بيتهم القديم بالقرب من "كنيسة أبيه

الحضور القبطى فى الرواية المصرية المعاصرة فكر وإبداع

الأولى". وعندما وجد أن باب الكنيسة مغلق جلس على مقهى مقابل، وسرعان ما لاحظ على مقربة من "باب الكنيسة" المغلق بعض الجنود الذين يغالبون السأم دفع ثمن الشاى واتجه ببطء إلى باب الكنيسة المغلق لاحظ أن الجنود ينظرون إليه بتوجس "وأيديهم على زناد أسلحتهم الأتوماتيكية". (٣٠)

فالكنايس في صعيد مصر تحتاج الآن إلى حراسة بسبب هجمات المتعصبين من الجماعات الإسلامية المتشددة، ومن يقترب من "الكنيسة" حتى لو كان "مسيحياً" فإنه يخاطر بحياته!!

يقوم الراوى بالسكن في أحد معاقل "الجماعات الإسلامية" "إمبابة"، وقام بتقديم "ريبورتاج صحفي" عن سطوة وعنف أحد التنظيمات الأصولية وردود الفعل من قبل "الحكومة" و"الأقلية القبطية" في إمبابة وعموم مصر. سكن الراوي في الطابق الخامس من بيت يمتلكه "المقدس زخاري" في شارع يسمى "شارع الأقصر" وكعادته أخذ الراوي يجلس في البلكونة ويراقب الشارع وناسه يقول :

[الجميع في الشارع الآن يعرفون أنني مسيحي؛ لأن القانون غير المكتوب والمطبق بحزم هنا هو الجيتو. المسيحيون لا يستطيعون استئجار شقق في بيوت يمتلكها المسلمون، والعكس صحيح]. (٣١)

(٣٢) نفس المصدر السابق،

(٣١) نفس المصدر السابق، ص/ ٢٢٦ .
ص/ ٢٧١ .

(٣٤) نفس المصدر السابق،

(٣٣) نفس المصدر السابق، ص/ ٢٧٣ .
ص/ ٢٧٣ - ٢٧٤

منذ بداية "الريبرتاج" يضعنا الراوي في الخندق بين "الحكومة" و "الأصوليين" وذلك تمهيداً لما سيرده عن المعركة التي شهداها بين "الشرطة" و "جماعة الشيخ جابر" . فالشيخ جابر _ كما نقلت وكالات الأنباء _ أعلن في تصريحات نارية قيام جمهوريته الإسلامية، وأنه سيزحف بجيشه على المناطق الكافرة ليحررها بحد السيف ويرجعها مرة أخرى إلى الدين الصحيح .

ورغم أن " الشيخ جابر " كان موجوداً ويمارس إرهابه منذ سنوات إلا أن " الحكومة " فوجئت بتصريحاته وأعلنت أن تصريحاته تضر بالسياحة وتخيف السياح! وبعد معركة سريعة استطاعت إلقاء القبض على الشيخ في بيت صديقته المطلقة! وظهر أن الشيخ جابر كان يعمل طبالاً في فرقة راقصة شرقية من الدرجة العاشرة!!

هذا الموقف دلل من وجهة نظر الراوي على ضعف وفساد الحكومة التي تريد أن تقتنع أن الحركة الأصولية الإسلامية في مصر يقودها أمثال الشيخ جابر : أي عشرات من الجهلة والسذج!!

بعد ذلك يتساءل الراوي عن موقف "المسيحيين والأقلية القبطية" في مصر كأفراد وكمؤسسة من ظهور تلك الجماعات الإسلامية المتشددة؛ فوضع "الكنيسة القبطية" الخاص جعلها [تتغلق على نفسها تدريجياً، وأن توقف باب الاجتهاد والبحث، وأن تجهل تناقضات الحياة الحديثة] . (٣٢)

وكما أتى المستعمر بالقسيس المبشر مما ساعد على ظهور الكنائس البروتستنتية والإنجيلية واليسوعية والرسولية وعشرات الكنائس الأصولية،

الحضور القبطى فى الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

ولم تعد "الكنيسة القبطية" هي المرجع الوحيد للمسيحيين المصريين، بل أصبحت مثلها مثل الأزهر [تقف بحذر في منتصف الطريق تراقب من أين ستأتي العاصفة] .^(٣٣) ولكنها تؤمن في ذات الوقت بحتمية استمرارها .

ولعل هذا ما يرمز " رعوف مسعد " إليه في عنوان الرواية ؛ فعندما زار أحد الأديرة رأى "بيضة نعامة" كبيرة معلقة على باب المنبح الداخلي، وعندما سأل الراهب المرافق عن معناها فقال له : [إنها رمز لاستمرار الكنيسة عبر عصور الإضطهاد المتعاقبة . قال إن النعامة حينما تحس بالخطر تسارع بتخبئة بيضها، ثم تجرى مبتعدة عنه لتحول نظر المطارد عن البيض . قال إنها قد تضحي بحياتها عالمة أنها قد أنقذت البيض] .^(٣٤)

وفي نهاية الرواية يخبر الراوى قارئه بأن " أقباط مصر " منذ هزيمتهم أمام العرب الفاتحين في معاناة، فقد تحول "القبطي" الذي أراد الاحتفاظ بدينه واسمه وأصله وفصله إلى [مواطن من الدرجة الثانية يدفع الجزية ويلبس "الزراق" تمييزاً عن المنتصرين . . . ولم ينفعهم هروبهم إلى الصحراء والأديرة، وعليهم الآن أن يستأذنوا الحكومة لكي يصلحوا مراحيض كنائسهم، ومازلوا يحملون العلامة الدالة عليهم في بطاقاتهم الشخصية بعد أن خلعوا "الزراق" التي تثبت ديانتهم حتى يكون هذا واضحاً لكل من يتعامل معهم . ومن يطلب منك هويتك سوى ممثل الدولة التي تضع الحراس الآن على متاجر الأقباط حماية لهم من الجنى الذي أطلقته الدولة في عصر السادات وغنته حتى الآن بأجهزة إعلامها الرسمية وكتب الدين في مدارسها وبمدرسيها ومدرساتها] .^(٣٥)

(٣٥) نفس المصدر السابق، ص/ ٢٨٧ .

وفي روايته "مزاج التماسيح" يتتبع "رعوف مسعد" بحدوث حرب أهلية مصرية، وهذا ما يتوافق مع ما سجله في نهاية روايته "بيضة النعامة"؛ فكانه يبدأ من حيث ما انتهى إليه في الرواية السابقة؛ فبعد أن عرض لما حدث في "إمبابة" خلال ثورة "الشيخ جابر" يتوقع هنا حدوث "انقلاب" يعقبه مصير أشبه "بالحرب الأهلية اللبنانية" التي عاشها المؤلف أثناء عمله الصحافي في بيروت؛ فبسبب "ضعف السلطة" في مصر قويت شوكة "الجماعات الأصولية" التي أخذت تصعد اعتداءاتها على "الأقلية القبطية" حتى إنها قتلت "قاممصة في الصعيد" (٣٦). والجو العام في الرواية يتتبع بأن مثل هذه الإعتداءات ستؤدي إلى ظهور ما يقابلها لدى الأقباط أى ظهور ما يسمى "المجلس المقدس للميليشيات المسيحية".

وفي الرواية نجد قصة "الراهب تاوا ضروس"؛ هذا الراهب، الذي ذاعت شهرته في التنبؤ وعمل السحر للنساء العواقر فيحبلن مهما كانت أعمارهن (٣٧)، فاجأ الجميع بأن "ذهب حافياً يحمل صليبه النحاسي الكبير إلى مقر "الحبر الأعظم"، يطالب بإعلان "الحرب المقدسة"، وطرد "المحتلين المسلمين" وإخراج الكنوز المخبوءة لبيعها وشراء الأسلحة". (٣٨) وبالطبع

(٣٦) رعوف مسعد: مزاج التماسيح، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م ص/١٤
- ونشير إلى أن إهداء الرواية ينطوي على كره عميق للمؤلف "رعوف مسعد" تجاه السلطة السياسية وعساكرها بمختلف رتبهم وللمؤسسة الدينية بشيوخها وقساوستها. فيقول في إهداء روايته لولديه متمنياً لهما "أن يعيشا في عالم يسوده التقبل الديني، والعرقسي. عالم لا يتحكم فيه العسكر والمليشيات الدينية. لا تسوده أوهام وأكاذيب تجار الدين وتجار السلاح". الرواية ص/٥

(٣٨) نفس المصدر

(٣٧) نفس المصدر السابق، ص/٤٣

السابق، ص/٤٤

(٤٠) نفس المصدر

(٣٩) نفس المصدر السابق، ص/٤٤

السابق، ص/٤٥

الحضور القبطي في الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

رفض "الحبر الأكبر" لقاءه، وأمر بطرده من المقر، ونفيه إلى "دير ماراجرجس" في الصحراء ومعاملته بكثير من الخشونة.

بعد فترة من مكوث "الراهب تاواضروس" في دير "مارا جرجس" استعلت أيقونة الفارس والقديس الروماني "ماراجرجس" وظلت مشتعلة تقاوم محاولات إطفائها؛ لأنها "أعجوبة من القديس الروماني وأن النيران علامة إنذار".^(٣٩) ورغم حرص "رئيس الدير" على ألا تنتشر الحكاية في هذه الأيام العصيبة إلا أنها انتشرت وانتشرت التفسيرات التي تأول اشتعال الأيقونة وعدم احتراقها بأنه دلالة على نفاذ صبر القديس الروماني. والنتيجة أن "الدير" المنعزل تحول إلى مزار مهم؛ حيث واصل العشرات والمئات من الأقباط زحفهم إلى الدير للتبرك "بالأيقونة المقدسة". ووجدها "الراهب تاواضروس" فرصة لممارسة حريته؛ فأخذ يتنقل بين خيامهم التي نصبوها في ساحة الدير وخارجه يباركهم ويصلي بهم حيث يبتهلون جميعاً أن "لا يحول المخلص وجهه عن شعبه الرازخ الآن تحت نير مضطهديم".^(٤٠)

وعندما سرت إشاعة بأن هناك خطة لاختطاف "الراهب تاواضروس" وقتله كون "الرهبان الصغار" نواة حرس خاص لحمايته.

هذا وقد أدى ظهور تلك "الأيقونة المقدسة" = أيقونة الفارس والقديس ماراجرجس" في "الدير الصحراوي" المنعزل إلى قيام بعض "الجماعات القبطية المسلحة" مثل "جماعة فرسان ماراجرجس" و "جماعة المائثون" ويصف الراوي هذه "الجماعات القبطية المسلحة" وما تقوم به فيقول:

[لا يعرف أحد أسماءهم، ولكنهم يظهرون _ فجأة _ فوق جيادهم، في الأماكن والقرى، التي يعاني غالبية أهلها، من المؤمنين

المسيحيين، من عنت السنية، من الجماعات الإسلامية يظهرون، بدون إنذار، ليعيدوا الأمور إلى نصابها، كما يعلنون، ليختفوا مرة أخرى].^(٤١)

وقد تمكنت "جماعة المثلثون" من أن تتصل "بالقصص ملك عبد المسيح" راعي كنيسة "سيدة الآلام" بشبرا مصر. وبهذا اللقاء تبدأ رواية "مزاج التماسيح" فصولها؛ فالراوي يبدأ الكتاب الأول من الرواية بتوشية تاريخية هي "القاهرة - عام ٢٠١٠م، الخميس .. صباحاً" ثم العنوان "كلاشينكوف روسي فوق مذبح الرب".^(٤٢)

لاشك أن العنوان صادم؛ فعلى الفور يستدعي القارئ رسالة الرواية وهي الحرب الأهلية بين "الجماعات المسلحة الإسلامية" والجماعات المسلحة القبطية؛ فالسلاح الروسي الشهير "كلاشينكوف" مرتبط في الأذهان بالمقاومة وحرب العصابات. ومعني هذا أنه يتبأ بمقاومة مسلحة تتطلق من جوار "مذبح الرب" وعلى يد "الجماعات القبطية".

وفي يوم الخميس صباحاً استيقظ القمص "ملك عبد المسيح" مبكراً كعادته وذهب إلى كنيسته. وبعد أن رمق جندي الحراسة "وقد استند بملل كسول على ذراع مدفعه الرشاش".^(٤٣) وما إن دخل الكنيسة حتى دخل

(٤١) نفس المصدر السابق، ص/٤٣ .

(٤٢) نفس المصدر السابق، ص/١١ .

(٤٣) نفس المصدر السابق، ص/١٣ .

(٤٤) قوله "الإرهابيين" هو الاسم المستخدم لوصف الجماعات المسلحة الإسلامية والتي تهاجم "محلات الأقباط وكنائسهم". ولعل ازدياد سطوة هذه الجماعات هي التي أعادت القصص "ملك عبد

المسيح" إلى ذكرى "عصر الشهداء" الذي قتل فيه "الأقباط الأوائل" على يد الرومان.

(٤٥) نفس المصدر السابق، ص/١٥ .

(٤٦) نفس المصدر السابق، ص/١٥ .

(٤٧) نفس المصدر السابق، ص/٢٠ .

بعده مجموعة من الناس وأغلقوا الباب خلفهم، وعندما أراد أن يستدير أمره أحدهم بحزم أن يواصل السير حتى وقف أمام الهيكل . وهو يظن أنهم من "الإرهابيين" .^(٤٤) وأنهم قاتليه لا محالة، إلا أن "القمص" فوجئ بأنهم سجدوا أيضاً أمام "الهيكل" فتحول خوفه وغيظه إلى فضول قوى خاصة بعد أن اعترفوا بأنهم سرقوا السلاح الذي معهم، وأنهم يطلبون مسحه "بالزيت المقدس" .^(٤٥)

لم يدهش "القمص ملاك عبد المسيح" كثيراً من اعترافاتهم، فقد سمع همساً مثيراً وكثيراً عن "الجماعات القبطية المسلحة"، ولكن انتابته حالة غريبة "أحس بأنه عاش هذا الموقف من قبل . قال لنفسه (على عشته في عصر الشهداء)" .^(٤٦)

وفي نفس اليوم يتم اختطاف "الشخصية الرئيسية في الرواية" التي لا اسم لها؛ فأنشاء عودته للبيت لكي يستعد لإحدى الحفلات لدى صديقته القديمة "فوفو" لاحظ هرولة الناس وعصبيتهم البادية رغم أن موعد حظر التجول لم يحن بعد، ولكنه تنبه أيضاً إلى انتشار العربات المصفحة والجنود ثم تم خطفه دون أن يعلم بوقوع الانقلاب الجديد الذي قام به بعض الجنرالات .^(٤٧)

ومع الوقت تتحول القاهرة-مثل بيروت قبل الحرب الأهلية اللبنانية- إلى ما يشبه عشاً للجواسيس الذين اجتمعوا في "حفلة فوفو" التى لم يحضرها "البطل" بسبب اختطافه، ولأن "الراوى" يتوقع "للمشكلة الطائفية" في "مصر" مصيراً كمصيرها في "لبنان" فإنه يحدثنا فيما بعد عن نقل عميل

المخابرات المركزية الأمريكية "ألفى ماتوريو" من بيروت للعمل في مصر .
(٤٨)

وفي هذه الحرب الأهلية تحول كل من "المصحف" و "الصليب" من رموز دينية إلى "وظيفة سياسية". (٤٩)

نلتقي في الرواية براهب "مجهول الاسم"، قام أحد القناصة بقتله ثم تبين للطرفين المتحاربين "المسلم والمسيحي" أن الرصاصة سدّت من ناحية "مبني التليفزيون" والذي تسيطر عليه "القيادة العليا للجمهورية العسكرية الديمقراطية" (٥٠) والمعني أنها المستفيدة من استمرار الصراع والتوتر، وتم استدعاء القمص "ملاك عبد المسيح" لإستلام الجثة وتغسيلها ودفنها . وأثناء قيام أخت "القمص" "تقيّة" وبعض النسوة بتغسيل "الراهب" المقتول اكتشفن فوقه جسد الراهب "بيضة نعامة" صغيرة سليمة، وأولن عدم انكسارها بأنه معجزة لا يقيم بها إلا قديس .

وفي يوم الأحد التالي امتلئت كنيسة القمص "ملاك عبد المسيح" بالمصلين؛ وبعد أن سجد وصلى وجد نفسه يقول للمصلين عن الرصاصة التي قتلت الراهب من مبني التليفزيون . عن استشهد الراهب على حاجز الموت، تلبية لأمر العذراء المقدسة في إيقاف دم أولادها من مسيحيين ومسلمين . عن اعتقاده هو القمص . الكاهن "ملاك عبد المسيح"، بأن قتل

(٤٨) نفس المصدر السابق، ص/ ٢٢٤ .

(٤٩) نفس المصدر السابق، ص/ ٦٢ .

(٥٠) نفس المصدر السابق، ص/ ٦٧ .

(٥١) نفس المصدر السابق، ص/ ٧٥ .

(٥٢) نفس المصدر السابق، ص/ ٧٦ .

الحضور القبطي في الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

الراهب الذي لم يعرف أحد اسمه حتى الآن، يجب أن يكون، مثل قتل المسيح فوقه الصليب؛ تكفيراً، غفراناً، ونهاية لعهد قديم، وبداية لعهد جديد "من التسامح الديني، ومن إحباط وتفشيل الخطط الخاصة باستمرار القتل لكي يستفيد حفنة من الناس، من فوق، وحفنة أخرى من التجار".^(٥١)

وبعد ساعات من خطبة القمص "ملاك عبد المسيح" في الكنيسة اهتزت خطوط الهاتف بين "القيادة العليا للجمهورية العسكرية الديمقراطية" و "المجلس الأعلى للميليشيات الإسلامية" و "المجلس المقدس للميليشيات المسيحية" و "مقر الحبر الأعظم" و "مقر الشيخ الكبير" وقد اتفق الجميع على أن ما قاله القمص "هرطقة"، وأنه من غير المسموح "تدخل الدين في الدولة"، وبناءً على ذلك أصدر "الجد الأعظم" قراره بعزل القمص ونفيه إلى "دير في الصحراء الغربية" لفترة غير محددة [ليعتكف في قلاتيه، ويصلي للرب، لكي يطرد من قلبه شيطان السياسة].^(٥٢)

ولكن وقبل أن يصل قرار "الحبر الأعظم" كان "القمص" في طريقه إلى "إسطنبول عنتر" لينضم إلى باقي شخصيات الرواية القبطية التي تعيش حالة مطاردة، وكأن الأمة القبطية كلها في حالة مطاردة!!

ثم يشير "الراوي" إلى مشروعه الروائي الذي سرقه أحد معارفه وباع الفقرات التي تتحدث عن "بروز جماعات قبطية مسلحة" لبعض الأجهزة السرية على أنه تقرير أو دراسة مما عرض "الراوي" لمخاطر ومطاردات عديدة كان أهمها القبض عليه في الشارع.

وفي قسم "الوحدة الوطنية" بأمن الدولة طلب منه رئيس القسم أن يتعاون معهم؛ لأنهم في خندق واحد ضد الجماعات، ثم قال له إن المعلومات التي وردت في روايته خطيرة، وتتطابق مع بعض المعلومات التي لديهم . ولأنه وجد نفسه أمام أمرين: التعذيب أو التعاون اختار الأخير؛ لأنه شاخ ولم يعد يتحمل .

وعندما التقى بصديقه "مصطفى القلاش" حدثه عما جرى له مع "ضباط الوحدة الوطنية" ثم قال له:

[- انصحنى بصفتك مسلم أباً عن جد، أعمل إيه لو الجماعات وصلت الحكم؟

- موش حيوصلوا . إحنا في مصر . عمر ما الجماعات حاتوصل الحكم

- يا سيدي فلنفرض . أعلن إسلامي؟

- طبعاً!

- أقول إيه؟ الشهادتين؟

- لأ . في الأول تصرخ بأعلى صوتك : استتيبوني . . استتيبوني .

مرتين على الأقل . وبعدين لما يستتيبوك تقول الشهادتين . أو العكس موش فاكرك .

- وأنت؟ حايعملوا فيك إيه؟

- حا أدخل بيت أبي سفيان! [(٥٣)

(٥٣) نفس المصدر السابق، ص/٢٠٢ - ٢٠٣

(٥٤) في أصل عزازيل في ديانة المسيح فهو دوماً في مقام عدو الله، وعدو المسيح، ولا يعرف مقامه من الروح القدس . . وقد سأله الراهب هيبا عن أي اسمائه أحب إليه؟ فقال: كلها

وبعد هذا الحوار الساخر "بين المسلم والمسيحي" والذي يصور حالة الترقب والحذر الذي تعيشه "الأقلية القبطية"، والذي يشير فيه إلى قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- إيان فتح مكة" ٠٠٠ ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن" نلاحظ أن: شخصيات الرواية تبدو "غير مترابطة" وتنتمي جميعها "لأقلية القبطية"، وأنها تعيش وتتفاعل في جو واحد هو جو "الحرب الأهلية" التي يتوقعها الراوي لمصر ٠

وقد وقع "الراوي" في بعض التناقضات والاضطراب فعلى سبيل المثال كيف تكون "رونسية" عام ٢٠١٠م في نهاية الأربعينيات، وقد كانت عند قيام ثورة ١٩٥٢م في السادسة عشرة، ومن ثم فإنها ينبغي أن تكون إيان زيارتها لمكتب "أمن الجمهورية العسكرية الديمقراطية" في الحلقة السابعة من عمرها!!

وفي رواية "عزازيل" ٠^(٤) للدكتور/يوسف زيدان يستخدم المؤلف الخلفية التاريخية لأحداث روايته؛ وهي النزاع الذي ساد في فترة شخوص الرواية حول طبيعة "السيد المسيح" في "المجامع المسكونية" التي حدثت لبحث ذلك للنزاع وهي: "مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م" الذي ظهرت فيه بدعة "آيورس" بإنكار "ألوهية السيد المسيح" ولم يوافق عليها المجمع المسكوني في

عندي سواء، إبليس، الشيطان، أهريمان، عزازيل، بعزبوب، بعزبول ٠٠ قلت له إن بعزبول تعني في العبرية: سيد الزباله، وبعزبوب تعني: سيد الذباب؛ فكيف لا يكثرث بالفروق التي بين أسمائه، ويراهها كلها سواء؟ قال: كلها سواسية، فالفروق في الألفاظ، لا في المعني الواحد ٠

- انظر د/يوسف زيدان، عزازيل، طبعة دار الشروق، ط ١٣، القاهرة ٢٠٠٩م، ص/٣٤٩-٣٥٠.

القسطنطينية الذي عقد عام ٣٨١م وظهرت فيه بدعة "أبو لينا يوبس" وبدعة "مكونيوس" بإنكار "ألوهية السيد المسيح" ولم يوافق المجمع عليها. ثم انعقد المجمع المسكوني بأفسوس عام ٤٣١م وظهرت فيه بدعة "القس نسطور" ورفضها المجمع.

حيث ادعى "نسطور" أن "السيد المسيح" "أقنومين" وشخصين وطبيعتين : طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية" منفصلتين عن بعضهم.

إن فرواية "عزازيل" إتخذت من "المجامع المسكونية الثلاثة" كخلفية تاريخية فقط دون التعرض لطبيعة القرارات فيها بالتأييد أو الاختلاف، فالمؤلف لم يتدخل في "النزاع اللاهوتي" حول "طبيعة السيد المسيح" لتفضيل رؤية على رؤية بل جعل الخلاف في "الرؤي اللاهوتية" يدور في الحوار على لسان أبطال الرواية معتمداً على خلط التاريخ بالخيال بدون تحريف للتاريخ وإنما إطلاق الخيال الإبداعي في حكاية بطل الرواية "الراهب هيبا".

الرواية تتحدث عن ترجمة مخطوطات (مذكرات الراهب هيبا)، كتبت في "ثلاثين من الرقوق أو اللفائف" باللغة السريانية، ووضعت في صندوق خشبي عند بوابة أحد الأديرة التابعة "لكنييسة انطاكية" في الشمال الغربي من مدينة "حلب" السورية، في القرن الخامس الميلادي.

تدور أحداث الرواية عن "الراهب هيبا" في العشرينيات من عمره يخرج من بلدته الأولى، نواحي "أخميم" في صعيد مصر إلى الأسكندرية لدراسة الطب واللاهوت فيلنقي مع "أوكتافيا" - خادمة السيد الصقلي - :

الحضور القبطى فى الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

امراة وثنية تنتظر قدمه من البحر منذ سنتين . (٥٥) تكره الدين، ويمارسان الجنس والفحش والرذيلة في ثلاث ليل وأربعة أيام:

[٥٥] اقتربت بوجهها لتقبلي قبلة حريرية، كانت ساعتها وافية بمطلوبها وغير موفية بمطلوبي . كان تتوري قد فار، واشتعلت نار غواياتها الآسرة بباطني . . غالبت اشتهائي لها حتى انغلب، وآثرت الهدوء، وقد شعرت بشيء من القلق يتسلل إلى باطني . سألتني إن كنت آراها جميلة، فقلت مندفعاً إلى إنها أجمل النساء]. (٥٦)

وفي مرحلة ما من قراءة الرواية يظن القارئ أن "الراهب هيبا" فقد صوابه وتحول إلى حيوان شهواني من فرط عدم مقاومته "لأوكتافيا" . يقول:-

(٥٥) كان انتظار "أوكتافيا" للرجل القادم من البحر بناءً على نبوءة من "كاهنة عجوز" قالت لها : إيا أوكتافيا لا تحزني، سوف يرسل الإله بوسيدون من البحر، رجلاً تحبينه ويحبك، يمسح عنك دمعك، ويملا أيامك بالفرح، سيأتيك بعد علامتين! لما سألت أوكتافيا عن علامتين، أخبرتها الكاهنة أنهما علامتان في مسيرة الزمن: يومان، اسبوعان، شهران، سنتان]. الرواية ص/٩٣ .

(٥٦) يوسف زيدان: عزازيل، ص/٨٩، وقد كان وقوعه في الغوايات والخطايا سهلاً من رجل يفترض أنه "راهب دين مسيحي" يقول:-
(جلست مستسلماً، مسحوراً، سلمت نفسي لها، وأسلمتني هي إلى خدر لنذير . فعلت ما لم يفعل أحد معي من قبل، ولا من بعد، حتى في زمن طفولتي". الرواية ص/٨١ - ٨٢ .
(٥٧) نفس المصدر السابق، ص/٨٢ . ويتمادى "الراهب هيبا" في وصف "الرذيلة" فيقول:-
[حين أغمضت عيني على صدرها، ازداد شعوري بها . . وحين مرت براحتها اليمنى الحانية على رقبتى، أخذتني سكرة . راحت هي تتلمس عظام كتفي، وتمر بأناملها على صدري الجاف النحيل . . شعرت بيدها اليسرى تعصرني، وبأنفاسها الفواحة بالتنهيدات تلفحني . يدها اليمنى توغلت تحت سروالي، المبلول بماء البحر والرغبة المحرمة . كانت يدها تغوص في، فتنتهك أرضي المستسلمة كلها، من أصابع قدمي إلى سائر جسمي المكثوم في حضنها]. الرواية ص/٨٣ .

[كانت طريققتها، أن أريح خدي الأيمن على نهدها الأيسر، حتى يلتصق شق وجهي بنعومة صدرها الممتلئ. قاومتها قليلاً، ثم استسلمت. لم أشعر قريبها بخطر الخطيئة، وإنما شعرت بأنني أغوص فيها، وأنسى ما عداها. . . وحين أحاط باطن ذراعها اليسرى بكتفي، أحسست أنها احتوتني للأبد، وأن وجودي اضمحل حتى تلاشي بحضنها الدافئ. . . براحتها اليمنى راحت تقرب القنينة من شفتي، فتداعب بعم القنينة فمي، ثم تسكب في روحي رشقات من نبيذها السماوي]. (٥٧)

وبعد ترك "الراهب هيبا" لأوكتافيا يتمنى أن تعود به الأيام في أكثر من مكان في الرواية!! ليعود إلى جنتها المفقودة!! فمثلاً يقول بعد عشرين عام متنكر:-

[. . . آه يا أوكتافيا المسكينة. . . لو كنت قد صبرت على قليلاً. . . ولو كنت أعرف ما يخبئه لي الزمان. . . أو. . . الآن. . . إن يدي ترتجفان. . . أوكتافيا الحبيبة، المسكينة. . . ما عدت قادراً على الكتابة]. (٥٨)

(٥٨) نفس المصدر السابق، ص/ ١٢٥ .

(٥٩) نفس المصدر السابق، ص/ ١٤٤ .

(٦٠) نفس المصدر السابق، ص/ ١٥٨ ، ونشير إلى أن "بطرس" هذا، ارتقى بعد ذلك سلم الأكليروس حتى صار أسقفًا، وقد اتخذ لنفسه الإسم الكنسي "مونجوس". وقد كان مشهد قتل "هيباتيا" أليماً حتى أنهم "جروا هيباتيا بعدما صارت قطعة، بل قطعاً من اللحم الأحمر المتهرئ. عند بوابة المعبد المهجور الذي بطرف الحي الملكي البرخيون ألقيوها فوق كومة كبيرة من قطع الخشب، وبعدها صارت جثة هامدة. . . ثم. . . اشعلوا النار. . .". الرواية ص/ ١٥٩ .

(٦١) درجات الإكليروس ثلاث: الشمس، القسيس، الأسقف وهناك درجات "رتب" من درجة القسيس، والأسقف أما البابا فهو البطريك، رئيس الأساقفة، ورئيس كل الأكليروس.

ثم يقارن بين "أوكتافيا" وبين "المسيحيين" فيقول:

[لم أر المحبة الحقّة، إلا فى امرأة وثنية لقيتنى صدفة على شاطئ البحر، وأدخلتني جنتها ثلاث ليال سوياً، وأربعة أيام لا تتسي.. لو عدت إلى أوكتافيا ثانية، هل ستقبلني، أم تصفني ثانية بالوضاعة والحقارة؟] . (٥٩)

ثم يلجأ "الراهب هيبا" إلى "كنيسة الأسكندرية" مقيماً فيها لطلب العلم حتى ساعة إعدام "عالمة الرياضيات" "هيباتيا" على أيدي متشددين من أنصار الأسقف "كيرلس" الذي يصارع أساقفة القسطنطينية وأنطاكية وأورشليم ويحارب العلم والفلسفة واصفاً إياهم بالهرطقيين . فيصف "الراهب هيبا" مشهد مقتل "عالمة الرياضيات هيباتيا" فيقول:

[انهالت الأيدي على ثوب هيباتيا فمزعته .. الرداء الحريري تنازعه حتى انتزعوه عن جسمها، ومن بعده انتزعوا ما تحته من ملابس كانت تحيط جسمها بإحكام . كانوا يلتذون بنهش القطع الداخلية ويصرخون، وكانت العجوز تصرخ فيهم كالمهوس: اسحلوها! وكانت هيباتيا تصرخ: يا أهل الأسكندرية! وكان البعيدون

(٦٢) القس نسطور-أحد أعمدة الرواية- بطريرك الكنيسة المسيحية بالقسطنطينية تقوم رؤيته على أن "السيد المسيح" أقنومين وشخصين وطبيعتين ولذلك لا يجب أن نسمي "السيدة العذراء" بوالدة الإله . وقد قرر المجمع المسكوني المنعقد في "أفسوس" عام ٤٣١م والذي دعا إليه الإمبراطور "ثيودوسيوس" بحرمانه من الخدمة في الكنيسة وعدم ترديد تعاليمه، وقد تم نفي "نسطور" إلى دير "مارابيريوس" بالقرب من انطاكية وتقرر عدم خروجه من الدير، ولكنه ظل على إصراره في نشر تعاليمه بين الرهبان لذلك قام الإمبراطور "ثيودوسيوس" بنفيه إلى "أخميم" في جنوب صعيد مصر .

- انظر د/ نبيل لوقا بباوي : الرد على رواية عزازيل ، دار السعادة بالقاهرة سنة ٢٠١٠م، ص/١١٠ .

عن الوصول إلى جسمها، يصرخون: العاهرة، الساحرة!... وحدي أنا كنت صامتاً.

صارت هيباتيا عارية تماماً، ومتكومة حول عريها تماماً، ويائسة من الخلاص تماماً، ومهانة تماماً... لا أعرف من أين أتوا بالحبل الخشن الذي لفوه حول معصمها، وأرخوه لمترين أو ثلاثة، ثم راحوا يجرونها به وهي معلقة من معصمها... وهكذا عرفت يومها معنى كلمة السحل التي أوصت به المرأة إلى بطرس القارئ وأتباعه]. (٦٠)

وفي أثناء وجود "الراهب هيبا" في مدينة "أورشليم" جاءت قافلة من مدينتي "انطاكية" و "المصيصة" بها عشرة من القساوسة والرهبان والشماسة. (٦١) برئاسة الأسقف "تيودور" وفي هذه القافلة تعرف على القس "نسطور". (٦٢) وهو من أخلص تلاميذ الأسقف "تيودور" وحضر "الراهب هيبا" أحد عظات الأسقف "تيودور" الذي تحدث في محاضراته عن الفداء وأن السيد المسيح حابي ليخلص العالم من خطيئة آدم، وبعد المحاضرة تعب الأسقف "تيودور" جسمانياً فأحضروا "الراهب هيبا" بصفته طبيباً ليعالجه.

وقد أخبر "الراهب هيبا" القس "نسطور" بالكتب الموجودة في صومعته وسأله عن تعاليم "أريوس" السكندري الذي لا يعترف "بالوهية السيد المسيح ولكنه يعترف بأن : " الله ".

الحضور القبطي في الرواية المصرية المعاصرة فكر وإبداع

"الله" ظهر في "السيد المسيح" والتي بسببها تم نفيه وقتل مسموماً عام ٣٣٠ م. (٦٣)

هذا وقد جاء على لسان "تسطور" أن "أريوس" [كان رجلاً مفعماً بالمحبة والصدق والبركة . إن وقائع حياته وتبته وزهده، كلها تؤكد ذلك .

(٦٣) أريوس: قس سكندري- ولد بمدينة القيروان بليبيا عام ٢٧٠م ثم جاء إلى الأسكندرية والتحق "بالمدرسة اللاهوتية" بالأسكندرية ودرس "علم اللاهوت" وقد رسمه "البابا بطرس" بطريرك الكرازة (الدعوة) المرقسية بالأسكندرية "قساً" عام ٣٠٦م وتحتصر تعاليمه في إنكار "لاهوت السيد المسيح" وادعائه أنه مخلوق وغير مساو للأب في الجوهر وهذا عكس تعاليم المسيحية منذ البداية لأن تعاليم المسيحية تقوم على أن الله واحد له ثلاثة أقانيم أو ثلاث صفات الأب والإبن وهو كلمة الله والروح القدس ولكن "أريوس" أنكر ألوهية الإبن وادعى أنه مخلوق وجعل الألوهية للأب فقط "انظر د/نبيل لوقايباوي: الرد على رواية عزازيل - مرجع سابق - ص/ ٦٧ .

- وبسبب آراء "القس أريوس" عقد المجمع المسكوني في قرية نيقية عام ٣٢٥م برئاسة الأسقف "أوسيو" أسقف قرطبة وممثل كنيسة الأسكندرية بطريرك الكرازة المرقسية البابا "الكسندروس" والذي دعا إلى إنعقاد "مجمع نيقية" هو "الإمبراطور قسطنطين" امبراطور الدولة الرومانية وكان وثيقاً حتى عام ٣٠٦م بعد وفاة والدته "قسطنطينوس خلورس" وفي عام ٣١٣م أصدر مرسوم "التسامح الديني" ودخل "قسطنطين" الديانة المسيحية . وقد رفضت آراء القس "أريوس"؛ لأنه خرج عن إجماع أهل زمانه، ولما دعاه "الإمبراطور من منفاه بأرض " القوط"، ليوفق، قسراً، بينه وبين "أسقف الأسكندرية"، كي يضمن هدوء الحال ويرضى المدينة العظمى، تم اغتياله بالسم" رواية عزازيل ص/ ٥٤ . وقد كان المدافع الأول عن تعاليمه المسيحية الصحيحة" ضد بدعة "أريوس" الفاسدة هو القديس "اثناسيوس" تلميذ القديس "انطونيوس" مؤسس الرهينة العملية في مصر . انظر د/نبيل لوقايباوي : الرد على رواية عزازيل ص/ ٧٢ .

(٦٤) د/يوسف زيدان، عزازيل، ص/ ٥٤

(٦٥) نفس المصدر السابق، ص/ ٤٠ ، وفي الرد على التشكيك السابق من قبل القس "نسطور" أورد د/نبيل لوقايباوي هذا الدليل: [ظهر الملاك ليوسف في حلم وقال له: قم وخذ الصبي وأمه واهب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزعم أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب النبي القائل من مصر دعوت ابنتي] . انجيل متي ١٣ : ١٥ .

أما أقواله، فلست أرى فيها إلا محاولة لتخليص ديانتنا من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم، فقد كان أجدادك يعتقدون في ثالوث إلهي، زواياه إيزيس وابنها حورس وزوجها أوزير الذي أنجبت منه من دون مضاجعة. فهل نعيد بعث الديانة القديمة؟ لا، ولا يصح أن يقال عن الله إنه ثالث ثلاثة. الله يا هيبا، واحد لا شريك له في ألوهيته. ولقد أراد آريوس أن تكون الديانة لله وحده.

لكنه تزنم في زمانه بلحن غير معهود من مثله. معترفاً بسر الظهور الإلهي في المسيح، وغير معترف بالوهية يسوع. معترفاً بأن يسوع ابن مريم الموهوب للإنسان، وغير معترف بشريك لله الواحد]. (٦٤)

وعندما اطلع "الراهب هيبا" "القس نسطور" على "الترجمة القبطية لرحلة العائلة المقدسة" الذي كتبه الأسقف "ثيوفيلوس" السكندري وشكك القس "نسطور" في هذه الرحلة وكيفية تجرؤ الأسقف أن يحكي عن "السيدة العذراء مريم" المبجلة ويورد عنها أقوالاً وأوصافاً مستنداً في دعواه على حلم رآه الأسقف "ثيوفيلدس" في منامه. (٦٥)

وفي أواخر عام ٤٢٩م عقد الأسقف "نسطور" مجمعاً محلياً، جرد فيه بعض "القسوس" من رتبهم الكنسية وحكم عليهم بالطرد، لأنهم لم يوافقوه على رأيه القائل أن "العذراء مريم" هي أم المسيح، خريستوتوكوس! وأصرروا مجتمعين على ما يعتقدونه ويعتقده عوام الناس، من أن "العذراء مريم" هي "ثيوتوكوس"، يعني أم الإله. كما قام الأسقف "نسطور"، بهدم كنيسة

للأريوسيين في القسطنطينية، وأعلن الحرب على اتباع كنيسة الأطنهار. (٦٦)
وحكم عليهم بالهرطقة، والخروج عن حظيرة الإيمان القويم. (٦٧)

وفي عام ٤٢٨م تولى "القس نسطور" - وهو في السابعة والأربعين من عمره - منصب "أسقف القسطنطينية" فأرسل لدعوة "الراهب هيبا" في "أنطاكية" وقد جرى التشاور بينهما عن رسالة كتبها "البابا كيرلس" على لفافة من البردي ضد "الأسقف نسطور" يتهمة فيها بالهرطقة. (٦٨) لأنه أنكر أن "السيدة العذراء" "أم إله" وأن في ذلك مخالفة لقانون الإيمان الذي أقره المجمع المسكوني المنعقد بنقية عام ٣٢٥م وأن كنيسة الأسكندرية ترى أنه لا انفصال بين "الناسوت واللاهوت" وأن العذراء "أم إله".

(٦٦) كنيسة الأطنهار: هم أتباع الأسقف الروماني "نوفاتيوس"، الذين توافقوا مع الدونانيين في أفريقيا والمليتيين في مصر، منذ أواخر القرن الرابع الميلادي، في قولهم جميعاً برفض التائبين العائدين إلى المسيحية، بعد انتهاء عصر الاضطهاد.

(٦٧) د/يوسف زيدان: عزازيل، ص/٢٢٤، وقد كانت عقيدة "الأسقف نسطور" في طبيعة المسيح أنه:-

[مولود من بشر، والبشر لا يلد الآلهة... كيف نقول أن السيدة العذراء ولدت رباً، ونسجد لطفل عمره شهور، لأن المجوس سجدوا له!... المسيح معجزة ربانية، إنسان ظهر لنا الله من خلاله، وحل فيه، ليجعله بشارة الخلاص وعلامة العهد الجديد للإنسانية] . الرواية ص/٤٧ .

(٦٨) جاء بالرسالة التي أرسلها "البابا كيرلس" أن :
[إننا نفر بكل تأكيد، بأن الكلمة اتحد بالجسد أقنومياً، ولذلك نسجد لابن واحد، الرب يسوع المسيح، فلا نجزي، ولا نفصل والإنسان عن الله... المسيح واحد، ابن ورب... فهو إله الكل ورب الجميع، وليس هو عبداً لنفسه، ولا سيّداً لنفسه] . الرواية ص/ ٢٤٠

(٦٩) د/يوسف زيدان، عزازيل ص/٢٤٠

(٧٠) نفس المصدر السابق، ص/ ٢٤٢

[من لا يعترف بأن المسيح (عما نوثيل) هو الله بالحقيقة، . . . ومن ثم فإن العذراء هي والدة الإله، فليكن ملعوناً (محروماً)] .^(٦٩)

ولذلك لعن "البابا كيرلس" "الأسقف نسطور" وكنيسة القسطنطينية، وقد قام "البابا كيرلس" بإرسال صورة من اللعنات إلى الإمبراطورية ورسالة إلى "بولكيريا" أخت الإمبراطور وإلى زوجة الإمبراطور "يودكيا" لنفوذهما وتأثيرهما على قراراته، وقد علق "الأسقف نسطور" على ذلك أنه من المستحيل أن تلد "العذراء" إلهاً فقال:-

[العذراء هي أم الإله (ثيوتوكوس) فالعذراء امرأة من النساء، مجرد امرأة من النساء، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة] .^(٧٠)

إن هناك اختلاف جوهري بين رؤية كنيسة الأسكندرية "البابا كيرلس"، وكنيسة القسطنطينية "الأسقف نسطور".

تظهر علاقة "الراهب هيبا" مع "مارتا" على أحداث الرواية، فنجد وصفه لفسقه وفجوره معها، فالمفترض من الراهب أن يذوب بنار الحب الإلهي، إلا أننا نجده يذوب بنار حب "مارتا" !!؟ اللاهية، ويستطرد "الراهب هيبا" في وصف الأوضاع الجنسية معها قائلاً:

[رفعت عن ساقها ثوبها، بكلتا يدي، فأسلت هي الثوب من عند كتفها، بكلتا يديها . وقفت مرتاً أمامي عارية تماماً، ونثرت بأناملها شعرها،

فانخطف قلبي من سطوة الجمال ٠٠ ألقيت عني ثوبي، وكان بيننا ما يكون
بين الرجل والمرأة، حين يطرحان رداء الحياء ٠٠] (٧١)

وتأتي موافقة "الإمبراطور" على طلب "البابا كيرلس" - بابا
الأسكندرية وراعي الكرازة المرقسية- على عقد مجمع مسكوني بأفسوس
عام ٤٣١م. (٧٢) لرؤساء الكنائس في العالم المسيحي للنظر في عقيدة
"الأسقف نسطور" ولحسم الخلاف التاريخي بين "كنيسة الأسكندرية" و "كنيسة
القسطنطينية"، فكنيسة الأسكندرية تنادي بأن "الله" تجسد بكامله في "المسيح"
من يوم صار ببطن أمه فلا انفصال في السيد المسيح بين الألوهية والإنسانية
فهو إله ورب كامل تام وناسوته ممتزج مع لاهوته بلا انفصال. (٧٣) وكذلك
أن السيدة العذراء ولدت جسدياً.

الله متحداً بالجسد فهي والدة الإله وعلى الوجه الآخر ينادي الأسقف
"نسطور" بأن الله اتخذ "يسوع" مجلياً له ومن أجل الله غير المنظور أن نسجد
للمسيح المنظور وهما شخصان وأن الإنسان منفصل عن الإله بحيث هناك
انفصال بين ناسوته ولاهوته هما:-

(٧١) نفس المصدر السابق، ص/٣٢١

(٧٢) عقد المجمع المسكوني بأفسوس عام ٤٣١م بدعوة من الإمبراطور "ثيودوسيوس"
الصغير؛ للحفاظ على "الكنيسة المسيحية" الموحدة أمام بدعة "القس نسطور" بطريرك
الكنيسة المسيحية بالقسطنطينية. وقد قرر المجمع حرمان القس نسطور من الخدمة في
الكنيسة وعدم ترديد تعاليمه ونفيه إلى دير "مارا بيريوس". ومن أهم البدع التي تمت
مناقشتها في المجمع بدعة "بيلاجيوس" وهو قس بريطاني اعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه
دون بقية الجنس البشري وأن كل إنسان عند ولادته يكون كآدم قبل سقوطه.

(٧٣) د/يوسف زيدان: عزازيل، ص/٣٢٨.

(٧٤) نفس المصدر السابق، ص/٣٢٩

(٧٥) نفس المصدر السابق، ص/٣٦٧

[المسيح الأخذ الذي هو كلمة الله، والمسيح الإنسان المأخوذ الذي يدعي باسم الذي اتخذه]. (٧٤)

وقد صاغ المجمع المسكوني المنعقد بأفسوس عام ٤٣١م قانوناً جديداً للإيمان وهو:-

[نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيها العذراء القديسة، يا ولدة الإله، يا ثيوتوكوس، لأنك ولدت مخلص العالم، فأنتي وخلص نفوسنا. المجد لك، يا سيدنا وملكننا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غافر الخطايا، ندعو ونبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد نسجد له ونمجده، يا رب ارحم. يا رب بارك. أمين]. (٧٥)

وقد أغلق "الراهب هيبا" أنذيه في وجه "عزازيل" واقتنع بالديانة الصحيحة الأرثوذكسية، ليؤكد وجود الله مع الإنسان على الأرض في "شخص المسيح"، وقد جاء من أجل خلاص البشر من خطيئة أبيهم آدم.

وفي نهاية الرواية يعلن "الراهب هيبا" توبته النهائية عن ارتكاب أي فحشاء مستقبلاً بعد ما توصل للديانة الصحيحة في قناعته وجهه الديانة التي أقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥م ومجمع أفسوس عام ٤٣١م بأن السيد المسيح له طبيعة واحدة.

الشخصية القبطية فى رواية " صخب الهمس " للدكتور/ حسن البنداري

د/ حودة عبد النبي حودة

فى رواية "صخب الهمس" للأديب الدكتور/حسن البنداري^(١)
تجربة روائية، اجتازت تجربة إنسانية وفكرية استطاعت أن تحكي ظروف

(١) أديب وناقد وأستاذ جامعي، أصدر المجموعات القصصية والروائية والنقدية الواحدة تلو الأخرى، منها-على سبيل المثال- "الجرح"، الطبعة الأولى للجنة النشر للجامعين سنة ١٩٧١م، والطبعة الثانية للأنجلو المصرية-القاهرة ١٩٩١م، والطبعة الثالثة لدار الإبداع ٢٠٠٨م. و"الكلام" مجموعة قصصية، صدرت طبعتها الأولى لدار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨١م، وطبعتها الثانية لمكتبة الآداب-القاهرة ١٩٩١م، والثالثة لدار الإبداع ٢٠٠٨م. و"أمواج الفردوس" مجموعة قصصية، صدرت طبعتها الأولى عن الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٥م، طبعتها الثانية عن دار الإبداع ٢٠٠٩م و"يوم" قصصية وصدرت عن "أجيال" الجيزة ٢٠٠٨م.

ومن رواياته:

"سلوى الروح" (رواية)، ط(٢)، دار الإبداع ٢٠٠٧م.
"العائد بالحب" (رواية)، ط(١)، دار الإبداع - القاهرة ٢٠٠٦م، ط(٢)،
أجيال- الجيزة ٢٠٠٨م.

"فوق الأحزان" (رواية)، ط(١)، دار الإبداع-القاهرة، ٢٠٠٨م.

"صخب الهمس" (رواية)، ط(١)، دار الإبداع-القاهرة، ٢٠٠٩م.

-كانت التجربة القصصية، إذن-أسبق إليه، وكان أسبق إليها- منذ الستينيات من القرن العشرين- فسبقت التجربة النقدية التي تعددت مجالاتها، ورحبت أفاقها، فمن آثاره النقدية:-

- فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ: ط(١) مكتبة أم القرى- الكويت،

١٩٨٤م، ط (٢) الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٨٨م.

- قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم : ط(١)، الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٨١م.

- تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي: ط(١) الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٨٩م.

- مقاييس الحكم الموجز في الموروث النقدي: ط(١) الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٩١م.

فترة معينة، وتحمل ثقافتها، في رصد لحركات المجتمع، الذي يطارد التجارب الإنسانية في لحظات تحولها وتوترها النابع من صميم الأخلاق،

- الخطاب النفسي في النقد العربي القديم: ط(١) الأنجلو المصرية ١٩٩٣م، ط(٢)، مكتبة الآداب-القاهرة ٢٠٠١م، ط(٣) ٢٠٠٦م.
- فاعلية التعاقب في الشعر العربي الحديث: ط(١) الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٩٥م.
- جدلية الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر: ط(١) ١٩٩٥م، ط(٢) الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٩٩م.
- الصنعة الفنية في التراث النقدي: ط(١) مركز الحضارة العربية-القاهرة ١٩٩٩م.
- طاقات الشعر في التراث النقدي: ط(١) الأنجلو ٢٠٠٠م، ط(٢) مكتبة الآداب، ٢٠٠٧م.
- نظرية الإبداع الشعري عند النواجي: ط(١) الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠٠م.
- إحكام النص الشعري في التراث النقدي والبلاغي: ط(١) الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠١م.
- تحليل النص الأدبي: دراسات في الأجناس الأدبية (بالاشتراك مع د.عزة الغنام ود. الزهراء بدوي) ط(١) الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠١م.
- تجليات الإبداع الأدبي: ط(١) الآداب-القاهرة ٢٠٠٢م.
- أساليب علم المعاني بين النظرية والتطبيق: ط(١) الآداب-القاهرة ٢٠٠٣م.
- الفنون البيانية والبديعية بين النظرية والتطبيق: ط(١) الآداب-٢٠٠٣م.
- البنيات الكاشفة عند نجيب محفوظ: دراسات في النص القصص من عام ١٩٧٩م إلى عام ١٩٩٦م، ط(١) الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠٤م.
- مزايا التجلي: رؤية نقدية كاشفة: ط(١)، الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠٥م.
- فيض القلم: مقالات في الثقافة والأدب: ط(١)، الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠٥م.
- نجيب محفوظ حالماً بالقمر: ط(١) الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٦م.

وكتب عن المؤلف:-

- تجليات الفن القصص عند حسن البنداري: دراسات بأقلام عدد من النقاد، إعداد د/سعاد عبد المطلب ومصطفى عبد الوارث، تقديم د/أحمد درويش، ط(١) دار الإبداع ٢٠٠٩م.
- آفاق الإبداع الروائي عند حسن البنداري: دراسات بأقلام عدد من النقاد، إعداد د/سعاد عبد المطلب ومصطفى عبد الوارث، تقديم د/محمد عبد المطلب، ط(١) دار الإبداع ٢٠٠٩م.

الحضور القبطي في الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

والمجاهد ضد عوامل القهر، التي تناوش المجتمع وتفرض سلطتها العقيمة عليه.

تحكي الرواية عن الدكتور "رشيد الكاشف" الجراح الكبير، الذي عاش فترة طويلة من النجاحات الدراسية، والتفوق الدراسي، وتسلم ثمرة ذلك من الرئيس "أنور السادات" والرئيس "مبارك"، جني لغرسه الطيب الذي يطرح نجاحاً وتقدماً بارزاً. كان يحلم ويأمل أن يتبدل الواقع، فتجسدت رؤيته في شقيقة "صفوان الكاشف" ذلك الصحفي المطارد، بسبب آرائه الجريئة، والذي انتبه إلى خيانة "هند الجارحي" زوجة أخيه؛ حيث تشترك في بؤر سرية للفساد والدمار في المجتمع. وهنا تصل الأحداث ذروتها ويكمن الصراع بين الغث "هند الجارحي" زوجة "رشيد"، والسمين "رشيد"، و"صفوان"، نبيل جريس، همس الجوهري" وهو الصراع الذي طبع الرواية بهمس صاخب يرمز إلى التنافس والجهاد من أجل تحقيق العدل والقضاء على بؤر الفساد.

وقف المبدع بوسائله الفنية أمام آليات البناء وقفة متأنية تريد أن تتجاوز الواقع المادي، بأسلوبية خاصة تبني هيكل النص وجوانب صوره، وفق رؤية رومانسية، في حركة انعكاسية عبر "الذات الهامسة" المشتبكة مع تيار الوعي، الذي ألح على الرواية، والذي جاء كاشفاً عن جوانب الإحباط والقمع وواد خيوط التغيير.

استند الدكتور/حسن البنداري إلى هذا النموذج الفني للحوار الذي سمح بعرض الأفكار والمناقشات، والعرض الواقعي لطبيعة الصراع الاجتماعي، فعبر الحوار عن تجربته الأدبية، وأكد واقعيته المناصرة

لخصوصية الإنسان في صراعاته المتنوعة، ورسمها بواسطة هذا التشكيل الفني الممتزج بالقيم الروحية والنزعات الواقعية.

لقد عنى المبدع بتوظيف الحوار بوصفه عنصراً من العناصر الفنية في العمل الروائي، الذي يعتز في نظر النقاد جوهر الدراما؛ لأنه يجعل أبطال الرواية يشاركون بأنفسهم في تكوين الحدث الروائي، وقد تراءى ذلك مع بداية الرواية لرسم سمات شخصياته من خلال حوار دار بين "رشيد الكاشف" وزوجته "هند الجارحي" عبراً فيه عن آرائهما تجاه "القضية الفلسطينية":-

" لا أظن أن المدنية ستصمد... "

لم أسترح إلى كلماتها المتشائمة وبادرت بقولي:

- بل ستصمد حتى يأت الفرج.
- المهم أن تستمر المقاومة.
- كيف تقاوم جيشاً مزوداً بأحدث الأسلحة ويستعين بصور الأقمار الصناعية؟!
- والنتيجة؟
- سقوط مؤكد.
- سوف تتحرك الدول العربية ودول لعالم الآخر لوقف الحرب.
- لن يسفر أى اجتماع عن شيء، ورأيت مع المشروع المطروح.
- ما هو؟
- تعود غزة إلى السيطرة المصرية، وتنضم الضفة الغربية إلى الأردن مع تغيير في هذين القطاعين.
- والدولة التي تطالب بها؟

- مجرد وهم يستحيل تنفيذه.

رأيت في ردود هند مساندة لسياسة الدولة العبرية وتبريراً لما تقوم به من قتل وتشريد وتهجير".^(٢)

أسفر الحوار السياسي بين "رشيد الكاشف" و"هند الجارحي" عن التناقض في الرؤية السياسية، "قرشيد" صاحب موقف ضد ما يحدث، يؤمن بتحقيق النصر عن طريق الصمود والإرادة الشعبية، ولكن تعارضه "هند"، فلديها بعض الميول للدولة العبرية، وضح ذلك بقولها: "لا أظن أن المدنية ستصمد". وعندما تساءل؟ أجابت قائلة: سقوط مؤكد. فأظهر تكرار المعنى إيمانها بالسياسة العبرية وعدم قبولها إقامة الدولة الفلسطينية: وأشار ذلك دهشة "رشيد" فقال "رأيت في ردود "هند" مساندة لسياسة الدولة العبرية وتبريراً لما تقوم به من قتل وتشريد وتهجير".

تتنامي الأحداث بظهور فرض الضغوط على وسائل الإعلام والصحفيين من خلال قوى التربص الداخلية والخارجية، ويتجلى ذلك من خلال شخصية "صفوان الكاشف" الصحفي بجريدة للشهاب، الذي يحاول تغيير الواقع والثورة عليه ومواجهة القوى المعادية بوعي وجسارة.

كان "صفوان الكاشف" مناوئ شرس لأهداف الدولة العبرية المعلنة والخفية، ولهيمنة القطب الأوحده على دول العالمين الشرقي والغربي، وهو دائم الكشف عن سياسة القمع والسلب والاستيطان الإسرائيلية، وخطورة

(٢) د/حسن البنداري: صخب الهمس، دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٩م، ص/١٥-١٦.
(٣) نفس المصدر السابق، ص/٩.

سياسة الدولة العبرية ٠٠ ولم يلق بالاً إلى رسائل التهديد والترهيب والترغيب ٠

وقد علق على اتفاقية "كامب ديفيد" وصور الزعماء الثلاثة :
"السادات وبيجين وكارتر:"-

- "أرأيت؟ لا تظن أن المشكلة الأساسية قد انتهت، ليس هناك إلزام بقيام الدولة الفلسطينية بجوار الدولة العبرية ٠٠ لن تسمح إسرائيل ولا الغرب بقيام الدولة" ٠ (٣)

وشخصيتنا القبطية للدكتور:

"نبيل جريس" من أخلص أصدقاء "صفوان الكاشف": جمعتهما الصداقة العميقة بعد أن تزاملاً في مدرسة طنطا الثانوية، وجامعة القاهرة، قرب بينهما أكثر سفرهما بالقطار من طنطا إلى القاهرة والعودة منها طوال سنوات الدراسة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

وعندما جندا بالقوات المسلحة، توزعا على سلاح المشاة من منطقة تجنيد واحدة عام ١٩٦٨م ٠٠، فجمعتهما وحدة عسكرية رابطة على الضفة الغربية أثناء حرب الاستنزاف، وحرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، وحتى بعد أن صار "صفوان" كاتباً مرموقاً في صحيفة "الشهاب"، وحاز "نبيل جريس" على درجة الدكتوراه من السوربون في القانون الدولي، تواصل اللقاءات والنقاش حول مؤلفاتهما بالعربية والإنجليزية والفرنسية ٠٠ وقد كانت كتبهما تمثل الموقف المعارض لهيمنة القطب الأوحـد-للولايات المتحدة الأمريكية-على سياسات الدول الصغيرة والكبيرة ٠

الحضور القبطى فى الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

والمفارقة أن كل منهما "صفوان الكاشف ونبيل جريس" قد سرقهما الزمن معاً، فقد اقتربا من الستين عاماً ولم يقرر أي منهما أن تكون له زوجة وأبناء!!

والدكتور/نبيل جريس "وطني كبير، مصريته فوق أي اعتبار، مبدأه الدين لله والوطن للجميع، والده "جريس استطفانوس" ممن شاركوا في ثورة ١٩١٩م، وله نشاط سابق ملموس في "حزب الوفد" وكان صديقاً مقرباً " لمصطفى النحاس" و "مكرم عبيد" و "أحمد لطفي السيد".

هذا وقد فشلت المخابرات المعادية في تجنيد د/نبيل جريس "أثناء فترة بعثته إلى فرنسا، وبعد عودته منها حاملاً درجة دكتوراه الدولة من السوربون .. كمفكر كبير، صاحب موقف ورؤية .. كتبه بالفرنسية والإنجليزية عن "أحلام الصهيونية" تثير جهات في الغرب ومصر .. ولكنه لا يبالي ما دام ثمة شرفاء في أماكن كثيرة من العالم تؤيد فكره وآراءه ..

وتعد حادثة اختفاء "صفوان الكاشف" لب الرواية وجوهرها، إذ يلعب الدكتور: نبيل جريس مهاماً عظيمة في كشف لغز اختفاء صديقه ..

وكان "صفوان الكاشف" قد ترك وثائق وخرائط وتقارير خبراء لدى صديقة الدكتور/نبيل .. ويوصى أخيه "رشيد" بأن يقابله وينسق معه لنشره في حال اختفائه أو اغتياله ..

ولم يهدأ الدكتور/نبيل جريس لاختفاء صديق عمره "صفوان الكاشف"، حتى فجر مفاجئة لرئيس النيابة "ماهر الغمراوي" فقد لمح "عزام

البواب" يجلس في سيارة "شبروكي" سوداء يقودها شاب ضخم الجسم يرتدي جاكيت أسود، ويجلس خلفهما بالملابس المدنية أمين الشرطة بهادر الجبالي. تتبعث السيارة وهي تقطع شارع "محي الدين أبو العز" وتتحرف يمينا إلى شارع جامعة الدول العربية". (٤)

وقد شعر نبيل جريس بملاحقة في الجامعة وفي الطريق، وأمام مسكنه؛ بسبب المخطوط الذي بحوزته، وقد أفصح عن ذلك "رشيد" قائلاً:-

"أجد دائماً شخصاً في المصعد يتغير كل يوم. أشعر أنني مراقب". (٥)

وكان المخطوط الذي تركه "صفوان الكاشف" لدى صديق عمره "نبيل جريس" والذي عنوانه "الدولة العبرية وطمس الهوية الفلسطينية" فمنذ الغلاف وهو يحذره أخيه "رشيد" من أن يطلع على هذه الأوراق أحياناً، على الأخص زوجته "هند الجارحي". (٦) وفي الصفحة الأولى من المخطوط ينتقد

(٤) نفس المصدر السابق، ص/ ٧١-٧٢.

(٥) نفس المصدر السابق، ص/ ١٣٦.

(٦) نفس المصدر السابق، ص/ ١٢٤، ويرجع سبب تخوف "صفوان الكاشف" من زوجة أخيه "هند الجارحي" — التي كان لديها ميول للدولة العبرية — كما أنها مديرة مركز "معارف الشرق الأوسط لحقوق الإنسان"، وأنها تقضي به نصف نهار، وتعود إليه في المساء لتبقي فيه حتى العاشرة مساءً الرواية ص/ ١٦.

وكان النقيب "مجدي الصياد" الضابط بمباحث أمن الدولة وهو ابن شقيقته الكبرى "بثينة" قد أسر لخاله "رشيد الكاشف" بأن توجيهات عليا صدرت لمباحث أمن الدولة لوضع المركز تحت المراقبة لأنه يمارس نشاطاً خفياً ضد مصالح الوطن، فبعض أعضاء المركز لهم صلات بمخابرات معادية؟! الرواية ص/ ١٨.

كما أن "شوقي الجباسي" — زوج همس الجوهري — يرأس المركز ويجمع الجنسيين المصرية والأمريكية، ويعقد صفقات خاصة بالبناء والسلاح، ويسافر دائماً إلى أمريكا وأوروبا. يدعمونه بالمال والنفوذ. يحرسون عليه؛ فهو رجلهم القوى في المنطقة، وزار إسرائيل علانية وسراً عدة مرات". الرواية ص/ ١٢٦.

الحضور القبطى فى الرواية فكر وإبداع المصرية المعاصرة

"صفوان" معاهدة كامب ديفيد وثمة محاولات لزعة أمن البلاد ومؤامرات بث الفتنة الطائفية والمطالبة بإنشاء دولة مسيحية في الصعيد والجزيرة، وإثارة القلاقل في سيناء في محاولة لعزلها في دولة مستقلة.

ويكتف د/نبيل جريس استخباراته في كشف غموض اختفاء "صفوان الكاشف" فقد رصد "عزام البواب" مرة ثانية وهو يركب سيارة "ميكروباس" ثم ينتقل إلى أخرى حتى وصل إلى "حي الروضة". ثم توقف أمام العمارة رقم (٤) في الطابق السادس والذي يحمل لافتة باسم "مانويل زخارى" جنير إقتصادي".^(٧)

وصدق حدس د/نبيل جريس فقد اكتشف تردد "شوقي الجباسي" و "هند الجارحي" على مسكن الروضة، كما تابع "عزام البواب" في المهندسين يجلس في سيارة مع "أمين الشرطة" بهادر الجبالي يقودها "شرهان العايدى".

لقد كان د/نبيل جريس ثاقب الفكر، حازم، يستقصى ويتحرى عن الأحداث ليصل لنتيجة تسهم في كشف غموض الحادثة فهو محرك الأحداث وفاعلها، فقد كانت دعوته لكل من "رشيد" و"همس" بكازينو "قصر النيل" لتبادل الآراء حول اغتيال فقيده النيابة "ماهر الغمراوي" تبادلوا نظرات حائرة لدقائق، قطعها صوت "همس" المفعم بالتوتر:-

(٧) نفس المصدر السابق، ص/١٥٨ .

(٨) نفس المصدر السابق، ص/ ١٥٤- ١٥٥ .

(٩) نفس المصدر السابق، ص/ ١٥٦ .

(١٠) نفس المصدر السابق، ص/ ١٥٧ .

" انتشر خبر الإغتيال . وبعض الصحف شككت في قدرة الدولة على
المواجهة .

رأيتني أخرب المنضدة بقبضة يدي وأقول:

- كيف قبلنا تغلظهم إلى هذا الحد؟

- فبادر نبيل .

- بالتسامح، والتهاون، والمهادنة ..

- فصرخت همس ثائرة:

- لن أسكت . سوف أثار بمقال غدًا" . (٨)

فلحظ "مواضع الإيجاز" التي لخصها د/نبيل جريس بقوله "بالتسامح
والتهاون والمهادنة"، فقد تعرض د/نبيل لقضية أهم من القضية التي طرحها
"همس الجوهري"، تتعلق بالوطن العربي كله ومعضلة حل الصراع العربي
الإسرائيلي منذ نشأة دولة إسرائيل ١٩٤٨م، حتى الآن، فلخص أسباب
المأساة وتوغلها إلى هذا الوضع المحزن بثلاث كلمات تفجر العديد من
الأخطاء والسلبيات التي انغمست فيها الشعوب العربية والإسلامية بداية
"بالتسامح" الذي يلوح به الكاتب لإتفاقية "كامب ديفيد ١٩٧٧م" وما اتبعتها من
التهاون والتخاذل عن كرامة الشعوب الإسلامية المحتلة التي
وقعت بين برائن إسرائيل، ووقوع البعض الآخر تحت وطأة الغزو
الفكري والثقافي والاجتماعي .

إن ملاحظة د/نبيل جريس بخطورة معاهدة "كامب ديفيد" على مصر
كانت في محلها؛ فقد أدت هذه الاتفاقية إلى التدخل السافر الإسرائيلي في
شئون مصر الداخلية والخارجية، فيعقب قائلاً:-

الحضور القبطى فى الرواية المصرية المعاصرة

فكر وإبداع

" الظروف الدولية الآن لا تساعد على تعديل أو تغيير الاتفاقية ". (٩)

ويقول " كما أن الإسرائيليين يحرصون بدو سيناء على الحكومة، ويمدون القبائل بالسلاح والمخدرات والمال، لضمان ولأئهم . إنهم يخططون لفصل سيناء أو إعادة احتلالها ". (١٠)

نلاحظ تدعيم المبدع - "د/حسن البنداري" نص الحوار بالإحالات المباشرة لمجموعة من الأخبار والمعلومات المهمة تتعلق "بالأمن السياسي" للبلاد؛ فالكاتب على وعي بأن السرد المباشر لا يستوعب هذا الفكر السياسي المتعمق والنظرة المستقبلية الواعية للأوضاع السياسية في الداخل والخارج، وإلا سيصبح النص أشبه بالخطب السياسية أو التقارير الصحفية، بعيداً عن الشكل الفني، فانتقى له هذا القالب الحوارى وساق بواسطته الفكرة السياسية بتلقائية فنية تستدعي استجابة القارئ .

وكل الشرفاء - "ماهر الغمراوي، همس الجوهرى" - وجد د/نبيل جريس في سريره مختبئاً بغاز متسرب من البوتاجاز وجارى البحث والتحقيق . (١١)

وكم كانت جنازة د/نبيل جريس مهيبة انطلقت في الحادية عشرة صباحاً من كنيسة العذراء مريم بجاردن سيتي . . . وقد خيم جو حزين على المعزين من الرجال والنساء . من رجال الدين المسيحي والدين الإسلامي على حد سواء فقد أقام الأنبا بوليس " تراتيل العزاء " - حوالى

(١١) نفس المصدر السابق، ص/ ١٧٨ .

عشرين دقيقة - وتحدث ثلاثة من زملاء الفقيد يحصون مناقبه .. وتكلم راعى الكنيسة وتناول مآثره ..

لقد تناولت رواية "صخب الهمس" جزئيات الحياة والواقع، التي تتراكم على الذات، حتى تغتال أروع ما فيها، وتسلب منها روح الجهاد فلا يتبقى إلا خواء يمرح ويقبض على الإنسان .

وقد استطاع د/حسن البنداري أن يرصد هذا الخلل في تكوين المجتمع، وجزئياته الضاغطة على حركة الذات عبر شبكات العلاقات الإنسانية المتداخلة . اعتقاداً فكرياً بأن الخارج له مردود انفعالي على النفس، فقدم الكاتب من خلال هذه النفس المأزومة المعادل الاجتماعي والواقعي والعقلي، الذي ينطوي عليه الخارج بمفارقاته وآلامه، التي يكابدها الإنسان .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:-

(١) إوار الخراط : الزمن الآخر، دار شهدي للطبع والنشر، القاهرة
١٩٨٥م.

يا بنات اسكندرية، دار الآداب، بيروت ١٩٩٠م.
ترابها زعفران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
٢٠٠٨م.

(٢) رعوف مسعد : بيضة للنعمة، دار رياض الريس، لندن ١٩٩٤م.

مزاج للتماسيح، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م.

(٣) نجيب الكيلاني : الظل الأسود، دار النفائس، بيروت، ط٣،
١٩٨٦م.

(٤) د/يوسف زيدان : عزازيل، طبعة دار الشروق، ط١٣، القاهرة
٢٠٠٩م.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة:-

(١) د/نبيل لوقا بيلوي : الرد على رواية عزازيل، دار السعادة،
للقاهرة ٢٠١٠م.

(٢) هـ.أ. أيزنسايد : نبوة أشعيا، تفسير سفر أشعيا، تعريب

س.ف.باز، الأردن، للزرقاء، دار الحياة، د.ت

نبوة حزقيال، تفسير سفر حزقيال،

تعريب س.ف.باز، الأردن، للزرقاء، دار الحياة،

د.ت

